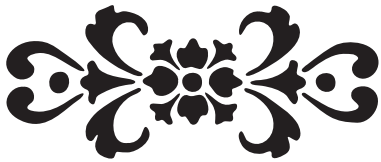

جود

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م
ردمك 5 - 413 - 79 – 9947 - 978 (ISBN)
التوزيع الدولي: مصر، لبنان الأردن، العراق، السودان

اسم العمل: جود
اسم المؤلف: خرايفية صندرة
تصميم الغلاف: زكريا رقاب
المدير العام / سميرة منصوري
اخراج: فريق دار المثقف

صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 70 65 85 033 /0666.76.28.50

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

المثقف
للنشر والتوزيع

بيلومانيا
للنشر والتوزيع

المقدمة

بعيدًا عن ألم الحبّ..

بعيدًا عن لهيب الشوق..

بعيدًا عن كل شيء جميل..

هناك أنت وأنا.. ولا أحد سوانا..

الإهداء

لروح «جميلتي» الراحلة..

ما بعد الإهداء

في لعبة الحبّ..

النّفوس لا تباع ولا تسترد..

الجزء الأوّل

حمل حقيبته السوداء المهترئة وراح يجوب المدارس الواحدة تلو الأخرى.. يترجّى الأساتذة تارة والمديرين تارة أخرى.. لا فائدة من الرّجاء ما دامت ملابسه مهترئة ففي وقتنا هذا لا يأبه الشخص لصاحبه إلاّ بمظاهره وملابسه المتناسقة.. هكذا هي طاولة الحياة.. وجود نرد فيها.. يرميه القدر لحاقّة الحياة..

يسقط لكنه ينهض ثابتًا فقط لأجل والدته الأرملة.. فأبوه مات وتركهما وحيدين رفقة أخته التي كانت ما تزال داخل رحم أمّها.. راح والده ضحية العشرية السوداء..

إنّه مجدّدا شاب في مقتبل العمر.. منعته الظروف القاهرة من الدراسة.. ظل يعمل ليلا نهارًا ليؤمن قوته ويعيل والدته التي كانت تعمل مع بكرة الفجر في أرض فلاحية ويدفع رسوم أخته الصغيرة فريال..

ها هو ذا يحمل تلك الحقيبة مرّة أخرى يرجو الواقف والجالس ليدفع رسوم دراسة شقيقته ذات السبع سنوات.. فاتتها سنتين من الدراسة.. الفقر حقير بعض الشيء.. يمنع فتاة بجمالها نعيم العلم والتعلّم.. حتى لمحه وأخته الأستاذ هاني رفيق أبيه أيام الجامعة.. تبادلا الحديث..

على ما يبدو وافق الأستاذ هاني على تدريس فريال وتعويضها عمّا فاتها من دروس بمبلغ زهيد جدًّا..

- أمّاه! لقد عدنا..

- ما الجديد يا بني؟ انظر لوجهك والابتسامة تعتليه..

- وافق أخيرًا الأستاذ هاني على تعليم صغيرتنا المدللة بثمن ألف دينار في الشهر..

قاطعته والدهشة تلحف ملامحها العجوزة:

- تسعد لهكذا خبر؟ أجننت يا ولدي؟؟ ألف دينار لا نؤمنها في السنة كيف سنؤمنها في شهر؟

- أمّي لا تقلقي إني على وشك عمل مشروع مهم..

- أيّ مشروع هذا وأنت لا تعرف حتى كيف تكتب اسمك؟

- لا بأس.. سأنام الآن...

أدركت كلامها الجارح الذي تفوّهت به عن غير قصد، كادت أن تعتذر حتّى قاطعها جود قائلا:

«تصبحين على خير»

* * *

- جود! أمّي!؟ إنّه سامر..

- أهلا أهلا يا ولدي.. ادخل جود في غرفته..

- أهلا بك يا خالة.. نادهِ أرجوك!

- خير؟ ما بك؟!

- والله لا شيء.. إنّما اليوم أوّل دوام لنا في الشركة..

- شركة؟ دوام؟

- أهلا يا صاح! آسف تأخّرت.. لم أنم البارحة جيدًا..

هيّا بنا.. كفاك ثرثرة..

- جود؟ أي عمل هذا ألن تخبر والدتك؟ ما لك تغيرت

- كنت سأخبرك لو استمعت لما كنت أقوله البارحة..

لا بأس يا أمّي.. سنتحدّث عند عودتي

-قبّل جبينها ويديّ أخته...

- وفّقكما الله يا صغيري..

* * *

وصل جود وصديق طفولته سامر لأضخم شركة مصنعة للبلاستيك.. واجهتها من البلور الأزرق.. باب زجاجي يفتح من تلقاء نفسه.. حراس يرتدون أفخم البزات

وفي الجهة المقابلة من المبنى موقف سيارات.. سيارات رباعية الدفع وأخرى كلاسيكية.. إنّها إحدى بنايات الرفاهية.. من يملك عملا كهذا

يملك الدنيا وما فيها.. دخلا الشركة بالقدم اليمنى.. يأملان الخير في الحصول على وظيفة الأحلام بالنسبة لأمثالهما..

وظيفة يستحقرها كل غني ذو جاه وسلطة..

في الطابق التاسع من البناية، أحمد الفرح صاحب « شركة الفرح» بزيّه الكلاسيكي الأنيق ونظراته الحادّة.. يكاد عنقه يطلب الرحمة!! يغلق قميصه لآخر زر.. يهتم بأدقّ التفاصيل وأصغرها.. رجل في العقد الخامس من عمره يملك كل هذا الجاه والمال.. تركع الرفاهية تحت قدميه لما يملكه من نفوذ.. لا يملك وريثًا.. لا ابنا ولا ابنة.. ولا حتى زوجة.. كل ما لديه أمواله ونفسه وأخاه المعاق ذهنيًا.. لا يساوي شيئًا أمام دفء العائلة وجمعة الأقارب بغرفة واحدة..

اقترب كل من جود وسامر نحو مالك الشركة «أحمد الفرح» بخطوات متثاقلة يملؤها التردّد ملتحفًا بعض التوتر والريبة..

- هه اقتربا يا ولديّ لن ألتهمكما -بنبرة ساخرة عفوية-

أردف سامر بخجل وتوتر في آنٍ واحد:

- هه آسف يا سيدي لكن صديقي لأوّل مرّة يأتي إلى هذا المكان.. فلا تؤاخذه أرجو المعذرة..

- هذا من حدثتني عنه إذًا ؟

- بشحمه ولحمه..

- حسنًا تعال معي للمكتب يا بني!

يبدو أنّ مالك الشركة العجوز حاد الطباع وهم سكن تفكير كل من رآه، فقد كان شخصًا حسن الخلق.. قليل الكلام.. عفوي بعض الشيء.. استقبل جود بترحيب فهو يدرك ما مرّ به من ظروف قاسية ومعضلات..

- قد حدّثني سامر بكلّ ما مررت به.. لا تتعجّب! فمن لم يتعلم حرفًا لا يعين في شركتي.. لذلك قرّرت أن أعينك شرط أن تباشر بالدراسة..

تعجّب جود لما قاله المدير له واستطرد قائلا:

- كيف؟ لكن أنا في الثانية والعشرين من عمري.. أدرس؟ مع من هم في سن أحفادي؟؟

- هه لا تتسرع! جيلكم متسرع وطائش.. انتظر حتى أكمل..

أومأ جود رأسه بخجل وفسح المجال للسيد العجوز أن يكمل ما بدأ به..

- كما أخبرتك ستباشر بدروس خصوصية لدى أفضل الأساتذة.. ستتعلم اللغة الإنجليزية.. من ثم ستباشر بالعمل..

- لكني لا أملك مبلغ ألف دينار في الشهر لأدرس أختي، كيف سأدفع مبالغ هذه الدروس عند أكبر الأساتذة؟

- لا تقلق إنّها مدفوعة الأجر

- آسف.. لا أستطيع أن أقبل بأمر كهذا...

- لا تقلق بعد أن يتم تعيينك سأخصم مبلغًا معينًا من مقدّمك الشهري.. اعتبرها سلفة..

- هكذا اتفقنا..

استطرد سامر بملامح رافضة قائلا:

- لوقتها يا سيدي.. من أين يضمن قوته؟

- سأدفع له راتبه شهريًا.. ثم إنها ثلاثة أشهر كحد أدنى ونعيّنه.. وكما أخبرتكما سأعتبرها سلفة..

- اتفقنا إذًا.. أشكرك جزيل الشكر يا سيدي..

- ستسعد والدتك بهذا الخبر يا جود

- نعم ستفعل..

الجزء الثاني

في الناحية الأخرى من العالم، أكبر عائلات البلد تستقبل مولودًا جديدًا.. إنّها الابنة البكر لعائلة «عبد العزيز».. « نهال عبد العزيز» فتاة توقف الزمن لجمالها.. سرقت من الثلج بياضه.. من الحرير نعومته.. عيناها غابة خضراء تضرم فيها نيران البراءة.. إنّها آية من آيات الله.. سبحانه من خلق فتاة بجمالها.. كبرنا على مقولة «كل شيء في الكون ناقص ما عداه سبحانه كامل منزه من النقائص».. لكن نهال كاملة المظهر.. وجه سمح.. وعقل نيّر بالعلم وحبّ المطالعة.. نشأت بين الكتب والروايات.. قرأت عن الحبّ.. عن الخيانة.. عن الدّين.. سيّدة الكتب كما يناديها والدها.. كبرت يومًا عن يوم.. وسنة عن سنة.. ها هي تتخرج في سنّ العشرين.. لطالما ارتادت جامعة الحقوق والمحاماة.. فوالدها كان محامٍ قبل بنائه لإمبراطوريته وأمّها طبيبة.. فجأة تحوّلت حياتها وعائلتها إلى كابوس.. الإفلاس يهدّد مستقبلهم حاضرهم وماضيهم.. ينسج ألحان نهاية الفخر والكبرياء أغنية حزينة..

إنّه اليوم المشؤوم.. الخطر يلحف أملاك عائلة «عبد العزيز» سقطت الألقاب.. وسقطت القصور الفاخرة..

لم يبق سوى فتاة ووالداها.. حجز البنك على نفوذهم بأكمله.. من بيوت

وسيارات حتى آخر رصيد بنكي.. صدق من قال أنّ الصديق وقت الضيق.. فهذه العائلة الكبيرة والغنية.. لها صداقات مع أكبر عائلات البلد وخارجها.. أغلقت كل الأبواب التي قصدوها يوم حاجتهم.. فالعلاقات مصالح.. والمصالح نفوذ.. أصبحوا غرباء في بيتهم.. فالبنك أنذرهم بأنهم سيطردون بعد ستة أشهر إن لم يسدّدوا ما عليهم من ديون.. ستة أشهر لتسديد آلاف الدولارات.. في وقت باتوا لا يملكون فيه ولو فرنكًا واحدًا.. مرّ شهر بأيّامه وساعاته.. ولم يتغير شيء.. غير أنّ حال العائلة تزداد سوءًا يومًا عن يوم.. والفتاة المدللة باتت فتاة عادية تذهب للعمل سيرًا أيّامًا وتقلّها الحافلة أيّامًا أخرى.. بالرغم من كل ما حدث لها ولوالديها إلاّ أنّها تدرك جيدًا أنّ معجزة ما ستحدث وتنقذها من الهلاك.. فحاشاه الله أن يخيبها..

* * *

إنّه يومٌ ربيعيٌ عذب.. يبعث طاقته الإيجابية في أضلع نهال.. يحارب فكرة الضياع ويزرع بدلاً عنها فكرة الحبّ.. إنّها ترى الحياة بنكهة الحبّ.. في الآونة الأخيرة.. القهوة تحكي مرارة الشوق.. والبحر ينسج هدوء العشق.. حتى زفير العصافير تسمعه نغمات هوى وألحان لقاء.. فهي تعيش مع كلّ رواية تقرأ أحداثها.. تخاطب شخصياتها وتتألم لألمهم..

إنّها ضائعة بين أسطر الخيانة.. وأحرف الشهوات.. تتخبّط بين النسيان والانتقام.. تقرأ رواية «لن أنسى».. فتزهر معها وتذبل مع أسامة بطلها.. أصبحت تدرك جيّدًا أنّ الحبّ سيطرق بابها يومًا ويخلصها من معاناتها.. فالحبّ حياة.. والمال بلا حبّ موت محتوم يتظاهر بالحياة..

* * *

- ألو! نعم يا ماما ماذا هناك؟
- تعالِ يا نهلة (كما تناديها والدتها) والدك ينتظرك..
- خير إن شاء الله إنّي في طريق العودة لن أتأخر..
- حسنٌ نحن في الانتظار..

أغلقت نهال الهاتف وعادت أدراجها بسرعة.. تعتلي ملامحها الريبة.. إنّها تخاف على صحّة والدها.. خاصة بعد أن تدهورت صحته في الأيّام القليلة السابقة.. فور وصولها ركضت للصالون لولا أنّ والدتها استوقفتها قائلة:

- اشششت! هناك خطيب لك يا عزيزتي.. مبارك!
- خطيب؟! (تلعثمت واحمرّت وجنتاها خجلاً)
- هاه خطيب يا صغيرتي.. قد كبرت وصرت عروس..
- لكن...

- ولا حرف! هيا بدّلي ملابسك وتعالي بسرعة.. عريسك في انتظارك.. إنّه غنيّ وقد يخلصنا من ديوننا..

اندهشت نهال مما سمعته.. كيف لوالدتها أن تهتم بالمال وتفضله على سعادة وحيدتها؟ هل هذا هو الحبّ المنتظر؟ هل سيحدث لها كما في الرواية؟ لكنها لا تحب أحدًا! فهل تضحّي بها لصالح عائلتها؟ ماذا عن والدها عليل الصحة؟ كيف ستواجهه لو قطعت آخر حبل أمل للتخلص من مشاكلهم؟ إنّ الوقت وحده كفيل بإظهار ما سيحدث بعدها.. ما هي إلاّ لحظات وها هي نهال الفتاة الجميلة تظهر بأحلى ثوب وأبهى طلة.. تدهش العريس وأهل...

ماذا؟ العريس لوحده؟ أين عائلته؟!

* * *

الجزء الثالث

مرّت خمس سنوات.. خمس سنوات كافية لقتل العاطفة بداخله.. فقد أمّه بعد ما حصل على وظيفة أحلامه.. ضمن لأخته مكانًا في أرقى المدارس.. زيّن لوالدته البيت بأثاث الحبّ والرّاحة.. كاد أن يعوّضها تعبها لو لم تتخلّ عنه وهو في منتصف الطريق.. هل يعود للوراء وينهي ما بدأ فيه.. أم يكظم غيظه وتعبه ويلقي بالأحزان خلف ظهره.. ليكمل سيره نحو حياة الرفاهية.. الحياة التي لطالما غفت على سريره تخبره بمدى روعتها وجمالها..

قد كسب ثقة أحمد الفرح فصار يناديه بابنه.. وكتب له نصف ممتلكاته.. فالشيخ هرم أكثر وأكثر.. والموت قد يداهم جسده في أيّ لحظة ويجرّده من روحه..

- انظر يا بني.. إنّي وهبتك نصف ما أملك.. لكن كما ترى إنّي عالة عليك.. لا أقوى الحراك.. لذا قرّرت أن أكتب وصيتي أمامك وأمام محامي الشركة وأنقل لك ما تبقى من نفوذي..

- آه! كل نفوذك؟ إنّي لا أستحق كل هذا يا والدي.. لقد منحتني الحبّ والحنان بعد أن تركتني والدتي رحمها الله.. قد رحبت بشخص جاهل

مثلي.. ومنحتني كلّ ما حلمت به.. ثم أنّك وعدتني ألاّ تتركني.. ستصحو بإذن الله.. وتحتفل بعرس سامر وفريال...

قاطعته دمعة يتيمة حرقت قلب جود على ذاك العجوز.. إنّه أرقّ شخص عرفه في حياته.. هل يتخلى عنه هو أيضًا.. أم أن الحياة كلما منحته شيئًا أخذت مقابله شيئًا آخر ؟

- لا تحزن يا ولدي.. لكل متّا أجله.. وقد قربت ساعتي.. مرّت ستة عشر عامًا على موت والدتك -رحمها الله- هذا وقتي يا بني ما باليد حيلة..

- أبي.. (أجهش بالبكاء حتى فاض قلبه حنينًا وموعد الفراق قد اقترب)

ما هي إلاّ ساعات حتى أكمل المحامي كتابة الوصية.. أوصله جود للخارج وعاد ليستلقي بجانب الشيخ.. لكن الحظ لم يحالفه هذه المرّة.. فقد وجده باردًا متجمّدًا فوق السرير.. جثة هامدة.. منذ ذاك الحين وجود يلتزم الصمت.. لم يبكِ حتى لرحيل من اعتبره والدًا له.. لا يكلّم أخته ولا رفيق دربه ولا حتى العملاء.. يلتزم الصمت ويكتفي به جليسًا يواسيه أحزانه.. وكّل سامر إدارة الشركة وأراح نفسه من ذكريات الشيخ أحمد التي كانت ما تزال تروح وتجيء في رواق الشركة..

* * *

مـرّت سـنة ونصـف عـلى جـود وهـو عـلى تـلك الحـال.. صامتًـا حـاد الطبـاع.. شرسًـا غاضبًـا طـوال الوقـت.. إنّهـا رائحـة حـبّ تلحـف المكان.. حفيـف العشـق يـضرم نـيران لهفـة اللقـاء.. الحـبّ قاتـل.. والشـوق ذابح.. هكـذا مـرّت فتـاة عشرينيـة توقّـف الزمـن لجمالهـا يومًـا.. نهـال عبـد العزيـز مـرّت بجانبـه لكنهـا علقـت بـه..

- آسفة يا عم لكن هل أجلس؟

أومأ برأسه إيجابًا..

- حسـنًا أظنـني أزعجتـك.. (أخـذت تبتعـد بخطـوات خفيفـة مرحـة حـتى اسـتوقفها صـوت عـذب بـه بحـة ألم وصرخـة خـذلان)

- ت..تعا.. تعالي اجلسي.. أجوك!

- آه شـكرا لك.. كان يومًـا شـاقًا.. فـوددت تأمـل مـوج البحـر يـدي هيجانه بصخـب.. إنّه الشـتاء.. شـتاء..

قاطعها قائلاً:

- شـتاء الوحدة والكآبة..

- هـه كيـف عرفـت؟ (ارتـدت ملامحها الحـيرة وتزينـت عيناهـا بالدهشـة.. بحلقـت فيـه بنظـرات ثاقبـة.. كأنّهـا تحفـظ ملامحـه)

- قرأتها يومًا.. كانت مكتوبة على جدار إحدى الأزقة..

- صحيح.. أنا من كتبها.. كنت مع أصدقائي....

قاطعتها رنّة هاتفها.. ردّت بسرعة.

- هاه نعم أمّي؟

-.....

- طيب.. آتية!

نظرت فيه نظرات خاطفة.. لم تودعه حتى.. بل اكتفت بقول آسفة.. منذ ذاك الحين وهي عالقة في سراديب ذكريات جود.. لم تبرح نبضه ثانية.. ظل يبحث عنها.. في كلّ يوم يجلس على المقعد ذاته.. يسترجع ذكريات أوّل لقاء بينهما.. متسائلا هل سيجد من أعادت له بصيص الحياة.. هل ستحبه؟ لم يأبه لفارق السنّ بينهما.. ولا لكلام النّاس إن حدث وارتبطا.. كل همّه تمحور حولها.. حول إيجاد معشوقته الصغرى..

* * *

- ألو سامر؟

- جو... ج...جود..

- ما بك.. ما بك ترتجف؟ ماذا حدث أخبرني؟؟

- أنت تتكلم؟!

- مش وقتو.. أخبرني أنت بخير؟

- بخير بخير.. لكن تعال إلى المستشفى.. فريال...

- ما بها فريال.. ماذا حدث لأختي؟

-.....

- ماذا؟ سآتي حالاً.. استرنا يا إلهي..

* * *

الجزء الرابع

وصل جود للمستشفى وكلّه يرتعش.. وجه شاحب، قلب حائر على حال أخته التي لا تزال في العشرينات من عمرها.. هل القدر يلعب لعبته مجدّدًا مع جود وعائلته.. أم أنّ هذه المرّة فريال هي النرد.. وقصة الاغتصاب هي الطاولة.. إنّها ملاك على الأرض.. تسلب منها عذريتها كطفل سلبته دميته الوحيدة.. فريال الفتاة الجميلة.. المثقفة.. كرّس حياته كلّها ليضمن لها ما لم يضمنه والده له.. كيف ستواجه نظرة النّاس إليها.. المجتمع صعب الميراس.. حلّت مصيبة على الكلّ ضحيتها فريال.. ما الذي سيفعله الآن؟ كيف سينقذ أخته وقد غرست الحياة أنيابها في مستقبلها؟

* * *

- أهلا سامر! تعال ادخل..

- جود ليس بالبيت؟ حسنًا سأعود لاحقًا..

رمت بجسدها الناعم وجاذبية شعرها الأسود في حضنه.. حاولت احتضانه لكنه ابتعد عنها ودفعها بقوّة..

- ماذا تفعلين أجننت؟

- إلى متى سنخفي مشاعرنا اتّجاه بعض؟ هاه لم أنت جبان هكذا؟

- تقصدين مشاعرك أنت لا مشاعري.. أنا لا أشعر بأي شيء اتّجاهك.. ثم إنّك بعمر أحفادي!

- أحفادك؟ إنّك لا تكبرني سوى بأربعة عشر سنة..

- هذه آخر مرّة أحذرك فيها.. وإلاّ

- وإلاّ ماذا؟ هاه؟ ستخبر أخي! (ضيقت عيناها.. واجهته بنظرات لا تخشى شيئًا فالحبّ سلاح العاشقين)..

دفعها عنه مجدّدا وراح يبرح المكان.. شغل سيارته وعاد أدراجه.. أغلق هاتفه ولم يحدث أحدًا سواه.. فقط هو ونفسه والضوء الخافت المنبعث من رواق البيت.. لم يغمض له جفن طوال الليل.. ظلّ يفكر ما الذي سيفعله؟ هل يصدم رفيق دربه بالحقيقة؟ إنه لم يرها غير أخت له.. كيف سيتقبّلها ويؤدي بمشاعره اتّجاه مخطوبته إلى التهلكة؟

* * *

في الناحية الأخرى من العالم.. كانت هناك نجلاء.. خطيبة سامر.. امرأة قوية تدير محلاً صغيرًا بالحيّ.. صديقة جود وسامر منذ الطفولة.. لسوء الحظ أنّها لا تبادل سامر شيئًا.. فهي لا تفكر به سوى كصديق لا أكثر.. أجبرها والداها على الزواج منه لتتحسن حالتهم المادية.. فنجلاء

كان لها خمس إخوة صغار تكبرهم.. من الصعب على والدها توفير قوته وقوت أولاده في عالم كهذا وهو مبتور الساقين.. وافقت على الزواج من سامر بينما تكن كل الحبّ والعاطفة لجود.. متاهات الحياة كثيرة.. وقصّة نجلاء أعقدها..

لطالما لم يبادلها جود أيًّا من مشاعرها.. لم يعرها أي انتباه.. فهي لم تكن سوى ابنة خالته وحالهم لا تفرق عن حال جود وعائلته شيئًا.. جود قاس لا يعرف الرحمة.. فخالته كانت سيّئة الطباع.. تطعم أولادها أمام ناظري فريال.. بينما ترفض أن تعطيها ما تبقى من عشاء البارحة حتى.. هذا ما جعل جود قاسٍ اتّجاه خالته وأبنائها.. لا يحبذ نجلاء بالرغم من أنّها كانت دائما وأبدًا على أتمّ الاستعداد لتلقي بنفسها في النّار بشرط أن تبقيه على قيد الحياة..

يلعب القدر لعبته في كلّ ثانية.. يدفعنا للخيانة.. للتعب.. للاكتئاب.. للقلق.. فقط لنحظى بحبٍّ مهما كانت ماهيته.. ولو كان نابعا عن رذيلة..

- هيّا يا ابنتي سامر ينتظرك..

- لن أذهب معه.. إنّي لا أطيقه وأنا معه..

أمسك بيدها بعصبية عنوة.. بلهجة حادّة تلحفها نبرة الشيخوخة:

- أخبرتك أنّك ستذهبين لتناول العشاء معه إذًا ستذهبين!

- لست بضاعة لتبيعني متى شئت إنّي أكرهه.. أكرهكم جميعًا..

- كفاك ثرثرة وانزلي حالاً وإلاّ قطعتك إربًا ورميتك لكلاب الحيّ سمعتِ!
اتسعت عيناها وكلّها ذعر وقالت بصوت يكاد أن يسمع:
- حاضر سأذهب.. على الأقل سأرتاح من قذارتك..

* * *

ها نحن ذا يعود بنا الزمن لمصيبة فريال.. ضحية اغتصاب.. جود ضائع.. هل يسعد لأنّه وجد حبه الحقيقي أم يقطع شرايينه ألمًا على أخته؟ مرّ شهران وفريال في حالة اكتئاب.. لا تحدّث أحدًا.. تأبى أن تأكل.. أهملت دراستها.. حتى سامر توقّفت عن محادثته.. فهو سبب ما حدث لها.. نفرت منه نفورًا تامًا.. فقبل شهران من الآن جهّزت فريال نفسها.. ارتدت أجمل ثوب يبرز مفاتنها.. وسرحت شعرها الأسود الطويل.. يتدلّى من على كتفها.. صمّمت أن تكسب المعركة.. تخلص سامر من بين يدي نجلاء.. الأفعى السارقة.. فقد سلبتها معشوقها.. أحبّته منذ أن كانت طفلة.. واليوم تأتي أخرى لتسرقه من بين أحضانها في لمح البصر.. فالحبّ لا يعرف عمرًا ولا عرقا..
لا دينًا ولا لونًا.. في الحبّ كلنّا واحد وإن فرّقتنا العادات.. حملت بروحها على ظهرها وغادرت البيت ليلاً لتصل إلى بيت سامر..

- هذه أنتِ؟ لم أتيت في هكذا وقت؟

- وما المشكلة في زيارة زوجي المستقبلي..

- جننت؟ أنت لا شيء بالنسبة لي ألم تفهمي بعد!؟

دفعها خارجًا فقد حاولت الدخول عنوة لكنه منعها..

وطردها.. ثم أغلق الباب بوجهها.. بكت وترجّته أن يدخلها لكن مبادئه منعته من ذلك.. لن يخون صديقه ولو ارتدت نجومًا وكواكبا..

بعد عناء المحاولة في دخولها لبيت سامر.. حملت نفسها وركبت سيارتها.. لسوء حظها توقفت السيارة فالبنزين لم يكن كافيا لإيصالها إلى بيتها.. ولأنّها أصرت على المبيت عند سامر تركت هاتفها في البيت..

* * *

- هه انظر من هناك..

- أليست أخت جود ذاك الفقير النتن؟!

- هي بشحمها ولحمها هاهاهاها

- فلنعبث قليلاً معها يبدو أنّها وحيدة..

- أهلا يا حلوة..

- ماذا تريدون؟ اغربوا عن وجهي..

.....-

- ابتعد عني أيّها الوغد.. ابتعد..

* * *

تحطّمت أحلام جود في أن يرى أخته بالثوب الأبيض تحتلّ الأنظار وتعتلي النجوم.. تسرق من القمر جاذبيته.. إنّ المصائب تهوي بنفسها على عاتق جود.. حاولت فريال الانتحار صباح اليوم.. لم تعد تحتمل نظرة النّاس لها.. ولا استحقار الرجال.. فهي عاهرة بالنسبة للمجتمع.. لأنّها خرجت ليلاً وحيدة.. اللذان نهكا عذريتها ليسا مذنبين بنظر المجتمع.. فهي من ابتزت شهواتها بجمالها وثوبها الذي يكاد يستر نصفا من جسدها.. قرأت يومًا أنّ « الحبّ نار.. لكنها لا تحرق ولا تخلف رمادًا» لكن فريال أحرقت نفسها بحبّها لسامر.. باتت تكرهه وتنفر منه.. أمّا هو فلا يملك حجة ليخلص نفسه من تلك الكوابيس التي تراوده ليلاً.. أمّا بالنسبة لجود فلم يستوعب ما يحدث له.. أخته حاولت الانتحار لتتخلص من هذه الحياة التي باتت بائسة بالنسبة لها..

شعر سامر بضيق تنفس.. بات يمقت نفسه هو الآخر.. لو قبل بفريال منذ اللحظة الأولى لما حدث لها ما حدث.. لو أعادها أدراجها ولم يتركها

وحدها أسيرة الليل والظلمات لما فقدت كنزها الثمين..

حمل نفسه في اليوم الموالي وعرض الزواج على فريال.. لكنّها لم تقبل ولم ترفض.. استمرت في الصمت.. الصمت ولاشيء غيره.. فراح يجوب البيت لعلها توافق بموافقة جود ويرتاح ضميره..

- اسمع يا سامر!! أعلم أنّك لا تحبّ فريال.. وأنّك متيم بنجلاء.. يستحيل أن أوافق على هذا الزفاف.. فريال كل ما تبقّى لي.. لكنك بمثابة أخ لي..

تعجب سامر من ردّ جود.. هل يعترف له بما جرى بينه وبين فريال؟ أم يكظم السرّ ويستمتع بعلقم الخذلان؟

- لا تهمني نجلاء بقدر ما تهمني فريال.. سأتزوجها وأعدك أنني سأسعدها وأعوضها عن كل ما حدث لها في الأشهر الماضية.. ألا تثق بي؟

- أثق بك.. حسنًا فليباركك الله!

- آمين..

وهكذا قدم سامر حبّه تضحية ليرتاح باله.. فألم الخداع ينهش كبده يومًا عن يوم.. من ناحية فريال الصغيرة الضائعة المكسورة بسببه.. ومن ناحية جود رفيق العمر الذي لا يعلم ما يحدث من وراء ظهره.. أمّا من الناحية الأخرى نجلاء حبّ حياته.. ضحى به وبها لأجل فتاة أضحت تمقت المكان المتواجد فيه..

إلى أين ستلوذ بنا الحياة هذه المرّة؟ هل هناك ما هو أبشع ولم يحدث بعد؟

الجزء الخامس

ما هي إلاّ لحظات وها هي نهال الفتاة الجميلة تظهر بأحلى ثوب وأبهى طلة.. تدهش العريس وأهل... ماذا؟ العريس لوحده؟ أين عائلته؟! ألا يكفي أنّه يكبرها عمرًا ويأتي بلا أهل؟ بعد شرود دام لبضع دقائق.. جلست نهال على الأريكة الرمادية المقابلة لمقعد جود ورمقته بنظراتها المألوفة.. تتساءل ما إن كانت تعرفه أو لا.. هذا الصوت مألوف.. النظرات مألوفة.. لكنها لا تدري أين ومتى لأنّه قد مرّ حوالي سنتين على لقائهما الأوّل..

- ما بك بنيتي ألن.. (بعد سعال دام لثواني معدودات أكمل جملته بعناء وتعب حزين) تلقي السلام على خطيبك؟

- آه.. آسفة أبي لكني لا أعرفه.. لم أجد ما أقول..

خجلت أمّها لما قالته نهال فهي فتاة لطيفة مهذبة كيف لها أن تعامل السيد المحترم هكذا؟ فالأسياد المحترمون يملكون هكذا كنية بسبب ما يملكونه في جعبتهم من أموال وسلطات.. لا يهم فقد تبادلت نهال وجود الحديث لدقائق.. لاحظت أنّه يحبها.. ذاك واضح من نظراته.. وله العشق يدير عيناه لهيبًا بدل الكحل.. تلعثمه في الكلام.. هل يصارحها أنّها عالقة بخياله منذ سنة ونصف؟ طبعًا لن يفعل فقد يظهر لها أنّه أخرق فهو

يكبرها سنًّا بل إنّه بسنّ والدها..

* * *

قبل سنة من الآن، توجت فريال عروس عرشها.. كان سامر يبدي ابتسامة تظهر للوهلة الأولى أنّها نابعة من يسار صدره.. من يعرف سامر جيدًا يدرك حق الإدراك أنّه حزين..

- جود ما بك؟

- أهلاً نجلاء.. لا شيء فقد إنّي أستمتع بزفاف صغيرتي لكني متأسف لما حدث بينك وبين سامر..

- آه لا تهتم.. تعلم جيدا أنّي لم أبادله أيًّا من الحبّ والعاطفة.. قلبي ملك لك لكنك لا تستوعب..

- لا أقوى على رؤيتك حبيبة لي.. أنت أخت وانتهينا..

- حسنًا.. أنا سعيدة لأجلك

- سعيدة؟

- هاه إحداهن أعادت جود الذي أعرفه..

- إحداهن؟

- لست غبية يا جود.. أعرفك جيدا.. من مرّ بصدماتك لن يسترجع

طبيعته إلاّ بالحبّ..

- هه.. وحدك من تفهميني..

فجأة استدار جود على صوت عذب.. صوت يعرفه جيّدًا.. بل إنّه يبحث عنه منذ زمن ليس ببعيد.. إنّها نهال هنا في العرس؟ أهي صدفة أم أنّ القدر يجمعهما ثانية.. فعائلة «عبد العزيز» أيامها لا تزال صاحبة الجاه وصداقات كثيرة إحدى هذه الصداقات كانت مع عائلة «الفرح» التي آلت جميع نفوذها إلى جود حينها.. فجأة أجرى جود اتّصالا هامّا كما يبدو عليه.. وطلب من أحدهم أدقّ المعلومات عن نهال.. لن يضيعها ثانية.. فتاة مثلها لن تقبل به.. استمر في مراقبتها حتى حلّ اليوم المشؤوم وأفلست عائلتها.. قرّر جود أن يضرب الوتر الحساس ويتقدم لها.. ليلعب دور البطل بجدارة ويخلصهم من ديونهم..

* * *

اتفقت نهال وجود على يوم محدّد لزفافهما.. أبت الخروج معه في موعد كأيّ رجل وخطيبته بحجة العمل تارة والتعب تارة أخرى..

في التاسع والعشرون من شهر أبريل وردت رسالة من رقم غريب لنهال محتواها: « تجهلين من أكون لكنك قريبًا ستعلمين أنّ جود نار ستحرقك

يومًا ما».. وقعت نهال أرضًا لذهولها من هذه الرسالة.. عاودت الاتصال بالرقم الغريب لكنها اكتشفت أن الهاتف مغلق.. قرّرت إخبار والدتها.. لكنها أجابتها بكلّ برود..

- يبدو أنّ أحدهم يريد عمل مقلب بك.. قريبًا ستتزوجين.. كفاك حجا صغيرتي..

لا أحد يصدّق ما تقوله نهال.. حتى والدها يعتقد أنّها صاحبة الرسالة.. فهي لا ترغب بجود زوجا أو صديقا أو قريبا بأي شكل كان.. بدأت الريبة تداهم روحها ليلا.. ونار الندم تشوه طيبتها.. قبلت بدفنها بالحياة مع جود.. لكنها تلعب لعبتها كما لعب القدر معها وهوى بها في عهدة رجل غريب يكاد أن يصير كهلا..

* * *

أتى اليوم المنشود لجود.. يوم الخراب الذي حلّ بملامح نهال الجميلة.. شعرها الأشقر القصير.. عيناها الخضراوتين وابتسامتها التي أضحت شاحبة بسبب تضحيتها.. مرّت الأيام سريعا.. وها هي تردّد كلمة «أقبل» وتتعهد لزوجها بالوفاء.. تخفي نغمات الخيانة وراء ملامحها المصطنعة.. بعد يوم متعب وعناء.. لم تحرم نهال زوجها حقوقه.. لكنه يدرك حتى اليقين أنّها لا تكن له أي حبّ.. قرر أن يمنحها وقتها.. يمنحها العمر

كلّه إن لزم ذلك.. كانت حادّة الطباع معه.. بينما قابلها بكل ودّ ورفق.. يعشقها.. اعتادت أن يقبّل جبينها صباح كل يوم ويقصد عمله.. بدأت تتعلّق به.. بدأت تشفق لحاله التي تزداد تدهورًا عن البارحة.. بدأت تراود نهال كوابيس حول اكتشاف حقيقتها التي أخفتها منذ زفافها لليوم.. لم تكن بريئة كما يظهر عليها.. بل كانت تضع دواء قاتلا تظهر آثاره بعد عدّة مرات من تناوله في حليب زوجها.. استيقظت على ألحان عذبة.. إنّها معزوفتها المفضلة..

- صباح الخير حبيبتي..

- صباح الخير عزيزي..

- عزيزي؟ هذه أوّل مرّة تناديني بها هكذا..

- فلننسى الماضي.. أنت زوجي وأنا زوجتك.. لا داعي لأن نهرب من هذه الحقيقة.. أحبك.. (احتضنته بحنان لم يذق طعمه منذ وفاة والدته.. لكن نظراتها له كلّها شفقة لم تكن حبًّا يومًا.. فقد دفعته للموت والتهلكة.. ببطئ قاتل.. ماذا لو اكتشف حقيقتها.. هل يقتلها كما في المنام الذي يراودها منذ فترة؟)

- جميلتي، اجلسي قد أعددت لك الفطور..

- أووه إنّه شهي كما يظهر (بنظرات بلهاء تمعنت الفطور.. منظر الطاولة والشمع المعطر يلحفها.. ثم شرعت في تناول قهوتها)

* * *

طرق الباب.. ثلاث دقات متتالية.. فتحت نهال الباب والابتسامة تملأ ملامحها.. ما أن رأتها تغيّرت ملامحها فجأة.. فرّت الابتسامة من وجهها السمح..

- ما الذي أتى بك؟

- ألن تدعيني أدخل؟

- ادخلي..

- أخبرني جود أنّك حامل..

ترقبتها نهال بنظرات كلّها غرابة ودهشة.. ثم استطردت قائلة:

- ولم عساه يخبرك؟

- أنت زوجته.. لكني ابنة خالته.. لن يخفي عني شيئًا..

- وما شأنك أنت بحملي؟

- عليك الابتعاد عنه.. لا تنسي أنه كان اتفاقنا منذ الأوّل..

- هو زوجي سواء رضيت أم لا.. هيّا اخرجي الآن لا أريد أن تعكّري صفو مزاجي..

- تطردينني؟

- نعم أطردك.. غادري حالاً..

- حسنًا.. ستأكلين أصابعك ندمًا والأيام بيننا..

* * *

في السابع من شهر مايو.. تحديدًا في يوم زفاف جود ونهال.. تخطّت نجلاء حدودها لأوّل مرّة فهي امرأة عاقلة شربت مياه النضوج في سنّها هذا..

- من هناك؟

- هذه أنا نجلاء يا صغيرتي هل لي بالدخول؟

- هاه طبعا يا خالة..

- هه خالة؟ وحدك من تحترميني..

- آسفة إن أزعجتك بمناداتك خالة..

- لا لا بأس.. خذي هذا!

- ما هذا؟

- دواء..

- وما الذي سأفعله به؟

- أكره اللف والدوران.. لذلك سأدخل صلب الموضوع.. أنا أحبّ جود.. ومن يراك يعرف أنّك لا تحبينه.. لكنه لا يرضى إلاّ بك.. هذا الدواء ستضعينه له يوميًّا في حليبه.. ستظهر آثار المرض عليه شيئًا فشيئًا..

- أقتله؟ وإن كنت تحبينه لم تريدين مني أن أقتله..

- الانتقام يا صغيرتي.. عندما تصبحين بسنّي ستستوعبين كلّ ما أقوله..

- ما الذي سأستفيده من قتله..

- حريتك وماله..

- وما الذي ستستفيدينه أنت؟

- رؤيته يموت خير لي من رؤيته زوج أخرى.. اتفقنا إذًا؟

بعد تفكير وافقت نهال على طلب نجلاء..

* * *

الجزء السادس

- خذلتني.. خذلتني يا حبيبتي..

- ما الذي تقوله؟ ما بك..

حاولت تحسس وجنتاه بيديها الناعمتين لكنه دفعها بقسوة.. قد كشفت ألاعيبها.. سقطت الأقنعة.. بعد أن خان زوجته لأجلها.. قتل ابنه.. دمّر حياته ليكون مع صديقة طفولته.. لكنّها أحرقته بلهيب الأنانية.. أرادت أن تملكه.. أبعدته عن الله.. عن زوجته.. كادت أن تقتله بكل دم بارد.. بكل جفاء.. وما ذنبها إن أحبته لكنه أبى أن يتدنى نحوها؟ نيران الانتقام اشتعلت.. وإن أخمدها ستبقي الرماد ذكرى لها.. غادر البيت وأغلق وراءه الباب بقوّة.. سقطت نجلاء أرضًا فقد كشفت ألاعيبها.. ما الذي ستفعله؟ ضاع جود بعد عناء الحصول عليه..

* * *

في اليوم الموالي، وصلت رسالة مكتوبة بحبر الندم لجود.. كتبتها نجلاء

لعلّها تسترد معشوقها.. كانت فحواها:

«عالمي بلاك عدم وبلاء..

عزيزي لا أحتمل فراقك..

هذه المشاعر المكسورة متناثرة داخلي..

رماد الذكريات يتفاقم في الأرجاء..

كنظرات الوداع عالقة بي وأنا عالقة فيها..

كنت ملجئي الوحيد الأوحد ما إن انتابني البكاء..

لمن أشكو الآن؟ لمن أركض لأعناقه وينثر عني خيباتي؟

لازال حبك يسبح داخلي أو بالأحرى لازلت أغرق فيه..

الكلّ هنا يشعرني بالضجر..

لا أحد ألجأ إليه أو يتحمّلني كما فعلت أنت..

إذًا عُد يا جود..

فلتعد لحبيبتك ولتنير لحظات الشوق ببعض لمسات الاشتياق.. لا تهم المسافات ولا حتى كم فاتنا من ألم وفراق..

عد بي إليك..

افرد جناحي الحبّ داخلك ورفرف بنا عاليّا..

فلنرقص على ألحان الهذيان مجدّدا..

على شرف الأحزان..

لا ذوق للحياة بلاك..

بدونك تفقد الكلمات معانيها..

تُسلَبُ من الأغاني ألحانها..

ومن الرسمات تعابيرها..

لا تهدم أحلامي ثانية..

إلى متى سنعلق في دوامة الابتعاد؟

البؤس يرحل بحلول الفرح..

لا سقوط بعد الحين..

فلنحلق وسط غيم الفشل..

ستشرق شمس النجاح..

تلك الجروح ستتلاشى..

فلا أثر يدوم..

عد بي إليك..»

نجلاؤك

* * *

مزّق جود الرسالة ومزّق معها ذكريات الحبّ الآثم..

قصد بيت نجلاء.. أقسم على ألّا يتركها تغفو بسلام حتى يعرف كل ما حدث..

- حبيبي! عدت أخيرًا.. (عانقته) أعلم أنّك ستعود لنجلائك..

- اجلسي..

- هاه حسنا..

- أخبريني بكل شيء..

- ماذا؟

- أخبريني بتآمرك وتلك اللعينة عليّ (أمسكها بعنف كاد أن يقتلع ملامحها المذعورة)

ظلت نجلاء تسرد أسلاك المؤامرة.. غير آبهة لما سيفعله جود بها.. فقد تعوّدت خسارته..

* * *

استفاقت نهال كعادتها.. حضّرت فطور الصباح بكلّ حبّ ومودّة.. في الآونة الأخيرة تغيرت تصرفات نهال مع زوجها للأحسن بينما قابلها بالعكس.. هكذا هم الرجال يحبون نساءهم بجنون ولمّا يحببنهن بجنون يعقلون.. بدأ يتملص منها.. خاصة لمّا علم بأمر حملها.. صار يضربها على

أتفه الحماقات التي ترتكبها.. يشكو طهوها.. يشكو حديثها.. ملّ منها ومما تفعله.. سئم اهتمامها المفرط به.. بدأت تذبل رغم صغر سنّها.. بات يعنفها وينعتها بالخائنة.. فسمّ نجلاء مفعوله أقوى مما تظن..

عاد جود في أحد الليالي في ساعة متأخّرة.. قابلته نهال بجفاء هذه المرّة.. فقد سئمت معاناتها هي الأخرى..

- أنت لا تروقينني بهذا الكرش المنتفخ..

- ماذا؟ إنّي حامل يا متخلف..

- متخلف؟ سؤريك من المتخلف أيتها العاهرة..

- أفلتني أفلتني..

دفعها عن الدرج.. نزفت نزيفا حادًا لكنه ظل يبكي.. لم يسعفها لأنّه يكره ابنه.. يكرهه لأنّه يربطه بامرأة مخادعة.. حاولت قتله..

في صباح يوم الغد.. قرّرت نهال أن تشكو جود وأفعاله لأمّها لعلها تنقذها من جنونه إذ علمت بأنّه قتل ابنها.. ولمّا وصلت والدتها حملتها مسرعة لبيت أبيها..

بعدما سردت نهال كلّ ما حدث بينها وبين زوجها وتقلباته وغياباته المتكرّرة من البيت والعمل غير المبرّرة شككت أمّها في جود.. وقررت أن تراقب تحركاته لتكشف مع من يخونها.. فقد بدا واضحًا أنّه يخونها وإن كشفته ستتمكن نهال من الطلاق بسهولة..

* * *

- تخونني مع نجلاء إذًا؟

- ماذا دهاك بحق السماء؟

- ابتعد عني أعلم كل شيء أيّها الخائن..

- أنت الخائنة تخونينني مع عمار أيتها الفاجرة..

- ماذا عمار؟ من عمار هذا؟!

أمسكها بقوّة وعيناه تكاد أن تنفجرا ألمًا وقسوة..

- لا تنكري..

فجأة رنّ جرس الباب.. فتح جود بينما أخذت نهال تتصنع الهناء والرّاحة.. إنّها فريال عادت من السفر وزوجها فقرّرت أن تأتي بنفسها لزيارة جود وزوجته.. فهي تقارب عمر نهال ويفهمان بعضهما..

- أهلا فريال.. اشتقت لك عزيزتي..

- وأنا أيضا.. لكني أحمل معي أخبارًا غير سارة..

- ماذا؟ هل حدث شيء لسامر..

- لا يا أخي.. إنّما نجلاء..

تساءلت نهال ونيتها الهلاك لنجلاء..

- ماذا حدث لها؟

- لم يحدث لها شيء.. لكنّها (أجهشت بالبكاء على أطلال عذريتها وأكملت سردها للأحداث).

* * *

- مساء الخير

- مسا... هذه أنت؟

- نعم ألن ترحب بي؟

- أخبرتك أن تبتعدي عني.. ألا تفهمين هذا؟ إنّي متزوج وزوجتي حامل...

- ماذا حامل؟ (حبكت نجلاء فكرة كاذبة لتشويه صورة نهال وإزالتها من طريق الحصول على جود)

- آه.. ومن والده؟

- ماذا؟

- لا.. لا شيء (تلعثمت لتبدو أنّها خائفة من فضح نهال) إنّها صغيرة ولا تدري ما ارتكبته.. ألاّ ترى أنّها غمرتك بالحبّ فجأة؟ انظر جيدًا لحالتك كيف تدهورت... لقد كانت تضع لك دواء في حليبك.. كشفتها

يـوم زرتـك وسـامر وفـريال..

- كان ذلك قبل خمسة أشهر لم أخفيت ذلك؟ ما مصلحتك؟

- أ.. أن..ظـر كلّ مـا في الأمـر أنّهـا وعدتـني بـألا تفعـل ذلك مجـدّدا.. وقـد رميـت علبـة الدواء بنفـسي..

- وما دخل ابني في الموضوع.. (تهاون وسقط أرضًا)

- هي تخونك.. اعلم ذلك.. أنا امرأة وأعـرف مـا تفكـر بـه فتـاة مثلهـا.. انظـر كيـف منحتـك حقوقـك الزوجيـة.. بعدهـا بوقـت قصـير أخبرتـك بحملهـا.. ألا تسـتوعب أنّك تحيـا مع أفعى؟ إنّي أحبك لم لا تشـعر بألمي وحرقتي بينما أنـت معهـا أنا أتـلاشى هنـا.. (بـدأت البـكاء فـدنى منهـا وقبّـل جبينهـا)

- أعتذر.. آسف نجلائي!

- لم تنادني بنجلائي منذ زمن..

وهنـا بـدأ جـود يغـوص في متاهـات الخيانـة.. وهـا هـو القـدر يلعـب لعبتـه ثانيـة.. يبعـده عـن محبوبتـه بعـد أن رضيـت بـه واكتفـت..

* * *

الجزء السابع

سرد جود لسامر خيانة زوجته له.. فتعجب سامر لأنّه يعرف نجلاء أكثر مما يعرفها جود.. يعرف حبكتها ونضجها وموهبة تمثيل الشرّ لديها.. فنقل هو الآخر كل ما سرده جود له لزوجته فريال.. لمّا علمت فريال بكلّ ما حدث من مستجدات في حياة أخيها الذي دفع حياته ثمنًا ليحميها قرّرت العودة إلى البلد وكشف حيل نجلاء.. لطالما مقتتها لأنّها حاولت سرقة سامر منها والآن تعيد ذات الشيء مع أخيها..

* * *

بعد أسبوع وصلت فريال وزوجها.. ولم يعلما أحدًا بسفرهما.. بل مكثا في أحد الفنادق حتى تمكنا من كشف خبايا خيانة نهال المفتعلة من قبل نجلاء..

ظل سامر يبحث عن شخص بمواصفات عمار بعد أن وصفه له جود.. لكنه لم يجد أي عمار بمواصفاته بل إنّه وجد «آثر».. فراح يتتبعه حتى أمسك به.. كان آثر شابًا في السابع والعشرين من عمره فقيرًا يرتدي ثيابًا

رثة.. اعترف هذا الأخير لسامر بكلّ ما حدث وطلب ألاّ يخبر نجلاء لأنّها هدّدته بقتله.. لسوء الحظ كانت فريال تركب سيارة زوجها.. أمّا سامر فقد أقنع آثر بطريقة ما بأن يذهب معه ويعترف لجود.. لأنّ الموضوع فيه طفل قد يتيتم ووالداه على قيد الحياة.. أشفق الشاب الفقير على حال جود ونهال ورضي بالاعتراف.. خصوصا أنّ سامر سيدفع له ثمن ذلك..

فجأة انهالت فريال بالبكاء وبدأت تنتف شعرها وتصرخ: «ابتعدوا عني.. ابتعدوا».. ذُهل سامر لأنّه أدرك حقيقة الأمر واصطحب زوجته إلى الفندق بينما لاذ الشاب آثر بالفرار.. لأنّه كان أحد مغتصبي فريال المسكينة..

* * *

- لم يحدث لها شيء.. لكنّها (أجهشت بالبكاء على أطلال عذريتها وأكملت سردها للأحداث).

- إذًا آثر أو عمار هذا لم يكن له أي وجود في حياة نهال؟ (انهار وبدأ يرتعش) بينما أصبحت نهال تبكي هي الأخرى.. قالت:

- أنتم عائلة مجانين.. أكرهكم جميعكم دمرتموني.. (أمسكت بكرافاتة جود)

أحذرك إن اقتربت مني مجدّدا.. دمرتني..

حملت نهال حقائبها وغادرت البيت.. حاول جود اللحاق بها لو لم تعترضه فريال قائلة..

- كفاك يا أخي! دعها ستعود إن كانت ما تزال تحبك..

* * *

ها هي ضحية الخيانة تروح وتجيء في رواق المتجر.. تخلت عن المحاماة.. تخلت عن كل ما يربطها بجود.. قرّرت العمل لدى متجر كندي يبيع الزهور..

- نهال هيّا بنا سنغلق المحل..

- حسنًا سأجلب حقيبتي.. آتية..

وصلت رفقة «عزيز» إلى منزلها المتواضع.. أعدّا العشاء سويًّا.. حبها خالٍ من الهموم والمشاكل..

مرّت سنة وهما على هذه الحالة.. يغرقان في بحر المعاصي.. هي تخون.. وهو يشاركها خيانتها..

- عزيز إلى متى سنظل نهرب من الحقيقة؟

تحسس وجنتاها بيديه الغليظتين اللتين جرحها العمل الشاق.. فعزيز

شاب شجاع يحارب مآسي الحياة ليضمن راحته.. هاجر إلى كندا ليضمن حياة هنيئة بعيدًا عن قريته محدودة التفكير.. منعوه من تحقيق أحلامه.. كان عازف كمان هاوٍ.. لكن أباه حطم له كمانه لأنّه يرى في العزف إثم.. وفي مواجهة العالم بموهبته بلاهة.. حتى وجد من استوطنت قلبه.. تزوجا سرًّا.. زواجًا غير شرعي..

- أحبك وسأواجه العالم كلّه متى شئتِ..

- أنا حامل في الشهر الثالث.. سنعود بعد أسبوع وأطلب الطلاق من جود.. نتزوّج ونعود هنا..

- أخيرًا لن يفرّقنا مخلوق..

* * *

بعد أن أقنعت فريال أخاها بألاّ يوقف نهال.. عادت أدراجها وتركته يحتسي شراب الألم والضغينة.. طغى الشرّ على روحه.. والعاشق الذي تطغى الكراهية داخله على الحبّ يصبح وليمة انتقام وطبق خديعة.. حمل الضغينة بجيبه واتّجه إلى نجلاء.. عازمًا ألاّ يعود إلاّ وهي ضائعة في سراديب التهلكة..

- هذا أنت مجدّدا.. قد أخبرتك بكلّ شيء ماذا بعد؟

- أيتها الشيطانة.. (أمسكها بكل عنف رجولي)

- ما الذي تف..عله؟ جووووود

إنّها صرخة الهلاك بالنسبة لنجلاء.. سقطت وسقطت معها كل آمالها في كسب معشوقها مجدّدا..

في الناحية الأخرى كانت نهال تبكي تعبها وحسرتها على روح ابنها..

- ابنتي ما بك؟ تعالي ادخلي.. أبا نهال تعال!

- ماذا هناك؟ نهال هذه أنت يا ابنتي؟!

- لقد.. (بكت نهال ما مرّ بها وشكت كلّ ما فعله جود ونجلاء بها)

- أجننت؟ تطلبين الطلاق من زوجك؟ والمال! أتعلمين ما سيحل بنا يا ابنتي؟!

- ماذا؟ حتى أنت يا أبي تفضل المال على حياتي.. إنّي فقدت الأمان بذاك البيت.. إنّ تلك الرسالة تتحقق..

استطردت والدة نهال قائلة والدمع يملأ عيناها:

- آسفة يا صغيرتي.. لو صدقتك لما حدث ما حدث.. (تربت على ظهرها بكل ألم.. لو كانت قادرة لاستردت حياة ابنتها وليذهب مال الدنيا للجحيم)

- هيّا معي؟

- إلى أين يا أبي؟ أفلتني..

- إلى بيت زوجك.. لن أخسر كلّ ما بنيته مجدّدا.. لن أسمح لك بهدمه..

دفعته عنها بكل مرارة.. أمسكت بمزهرية خضراء وضربتها أرضًا حتى تحطّمت.. صارت وقلبها على حال سواء.. وغادرت البيت بعد أن ردّدت:

- لا لن أذهب.. لن أذهب.. أكرهكم جميعًا..

- ابنتي.. (بكت دماء الأسى على وحيدتها) حسبي الله ونعم الوكيل.. حسبي الله ونعم الوكيل..

* * *

الجزء الثامن

استفاقت على صوت الطبيب.. بحلقت بالسقف طويلا.. نثرت به كلّ آثامها وخطاياها.. يدفعنا الحبّ أحيانا لارتكاب الأخطاء.. وتدفعنا الأخطاء لدفع الثمن غاليًا.. ونجلاء دفعت حريّة أناملها ثمنًا لما فعلته.. شُلّت وأضحت أسيرة الفراش.. سقطت من على الشرفة.. أحبّته فمنحها الخيبة على طبق من فضة.. إنّها تنتظر المغفرة.. يأبى الكلّ محادثتها.. لم يسامحها أحد على ما ارتكبته.. فقد حطمت كلّ من حاول التقرب منها..

* * *

مرّ أحد عشر يومًا ولم يصل جود خبرًا على زوجته.. التي كانت ما تزال على اسمه.. أقام جنازة لها في صدره.. هاتفها فلم ترد.. زار بيت أهلها فلم يجدها.. جنّ جنونه.. عاد أدراجه.. أحرق ملابسها.. حطّم ذكراها داخله.. أخذ يبحث عنها كطفل فقد أمّه في السوق.. لم يجد لها أثر.. بحث في الفنادق.. المستشفيات.. ولم يجدِ ذلك نفعًا.. فنهال ماتت.. ماتت على الورق.. غيّرت اسمها.. صارت «سوزان جابر».. سافرت إلى كندا وهناك وجدت حبّها الحقيقي.. وصارت زوجة له في الحرام.. رمت

بجمالها وبراءتها في أحضان المعاصي.. تبلّلت من رأسها حتى أخمص قدميها بالرذائل والغدر.. غرقت في وحل الخيانة وأغرقت عزيز معها..

* * *

- من الطارق؟

- هذه أنا نهال؟

فتح الباب بتردّد وقال:

- نهال؟ آه هذه أنت!؟ لم أرك منذ تخرجنا لكن ما الذي أتى بك في وقت كهذا.. ادخلي الجوّ ماطر..

- شكرا لك «رائد».. آمل ألّا أكون قد أزعجتك..

- انظري كيف تبللت.. لحظة سأحضر لك منشفة..

- شكرا.. (أمسكت المنشفة وحاولت تجفيف شعرها).. لم أجد أحدًا غيرك أقصده..

- هذا لأنني صديقك الوحيد..

- أين زوجتك.. ألن تنزعج من حضوري ليلاً؟

- ههه لا تقلقي عزيزتي.. لقد انفصلنا منذ مدّة طويلة.. ألن تحدثيني عما حدث لك؟

- قصة طويلة سأحدثك عنها غدًا.. أنا بحاجة لمساعدتك..

- ولن أرد لك طلب..

- أريد تغيير هويتي..

- ماذا؟ أمر غير قانوني إذًا؟!

- ألن تساعدني..

- والله لا أدري.. انتظري لحظة سأجري اتّصال وأخبرك ما إن كنت أقدر على ذلك أو لا..

بعد دقائق معدودة على أصابع اليد تمكّن أخيرًا من إقناع أحدهم ليتكفل بالموضوع..

- انظري عزيزتي.. منذ غدٍ ستكونين «سوزان جابر» سأصطحبك غدًا إلى حلاق قريب.. ستغيّرين لون شعرك.. سأتدبر أمر التزوير بما أنني محامي.. سأضمن لك ألاّ ينتبه أحد أنّ كلاً من هويتك وجواز سفرك مزوران..

- متى أستطيع تدبر أمري للسفر..

- نامي الآن في غرفة نومي.. سأنام هنا على الأريكة.. غدًا نتحدث في الأمر..

- حسنٌ.. لكني لا أملك مالاً للسفر..

- نامي الآن صغيرتي (كما يناديها) في صباح الغد سأشرح لك كل شيء..

* * *

بعد سبعة أيّام تمكّنت نهال من السفر إلى كندا..
أين بدأت بحياة جديدة خالية من جود.. لم تعلم بوفاة والدتها لأنّها قطعت الاتّصال مع عائلتها منذ رحيلها.. استمرّت نهال وعزيز في العيش بكندا تحت إمرة الحبّ المشروط.. الناجم عن الخيانة والخديعة.. انصاعت نهال لرغبات قلبها وأجبرتها المكائد على تلويث روحها الطاهرة..

* * *

قرّرا العودة ومواجهة العالم كلّه بحبهما وولدهما الذي ما يزال في رحم أمّه.. فور وصولهما زارا أهل نهال.. فقد شعرت بانقباضة قلب.. أوحى لها القدر مجدّدا أنّه سيلعب لعبته كما فعل معها سابقًا.. لكن والدها رفض استقبالها.. فهو يعتقد أنّ والدتها ماتت بسببها.. لأنّها توقّفت عن الأكل والشرب.. أدمنت البكاء على رحيل ابنتها.. حتى ماتت قهرًا وحنينًا..
هكذا هو الحبّ قاسٍ.. يقتل من نحبهم.. ليذيقنا مرارة الشوق..
ذهبا بعدها إلى بيت جود.. إنّه القفص الذي هدم ماضيها وحاضرها..
وها هي ذي تزوره مرّة أخرى ليهدم مستقبلها..

* * *

وصلت عزيز رسالة فحواها: « هذه أنا حاول ترقب مكاني بواسطة تقنية «الجي بي أس» ولا تعاود الاتصال بي لأنّه رقم جود.. في الانتظار.. أحبك»

ارتعش قلب عزيز طربًا للقاء محبوبته.. قرّر تتبع مكانها كما أملت عليه نهال.. ارتدى ملابسه بسرعة وراح يركض خارجًا.. لا يعرف أين يتجه.. حتى وصل المكان النشود.. أين يختبئ جود وزوجته.. بيت مهجور.. لا تدب فيه روح.. فكّر مليًّا مكان كهذا كيف سيتمكن من دخوله؟ الشبابيك حديدية.. والمكان مهجور.. تتعدّد الغرف ولا يدري أيّ غرفة نهال حبيسة فيها.. باب واحد لبيت واحد..

طرق الباب.. اختبأ خلف البرميل الموضوع خارجًا و...

الجزء التاسع

غادر سامر عمله بسرعة يتصبب عرقًا.. قد نقلت فريال إلى المستشفى.. إنّها في الشهر الثامن من حملها.. قد تخسر ابنتها في أيّ وقت.. لأنّ ولادة الطفل في هذا الشهر تشكل خطرًا كبيرا على الأمّ والمولود بحد ذاته.. ما إن وصل حتى تلقى فاجعة ولادة ابنته التي سلبت حياة أمّها بولادتها.. انهار وتهاوى أرضًا.. مجدّدا وككل مرّة يلعب القدر لعبته القاسية معنا.. كيف يفقد زوجته بعد أن أحبّها؟ كيف يتقبل وجود فتاته وهو يراها قاتلة زوجته؟ الخطأ خطأ فريال فقد حذّرها الطبيب أن تجهض جنينها وإلاّ ستفقد حياتها فور ولادته.. لكنها أمّ والأمّ تمنح روحها قربانا ليحيا فلذات كبدها..

أتت الممرضة تحمل الرضيعة.. سبحان الخالق المصور.. نسج ملامحها بجمال ناعم.. شعر أسود كشعر والدتها.. إنّها فريال.. فريال الصغيرة.. لم يقوَ سامر على رفض صغيرته.. فهي من دمه ولحمه.. عليه أن يتحلى بالقوّة والصّبر لأجلها.. فما لها غيره.. وما له غيرها..

- ماذا ستسمّيها يا سيدي؟

- آه.. (بنظرة ساذجة) سأسميها.. «سمرا» لسمرتها..

- اختيار موفق يا سيّدي مبارك..

فجأة أجهش سامر بالبكاء وملامح الأسى تفرض نفسها على وجهه.. هل يحزن لخسارة شريكة عمره؟ أم يسعد لاستقبال هذه الصغيرة؟

* * *

فتح جود الباب وشعر لحيته يلتهم ملامحه.. هرم أكثر وأكثر.. غابت عنه زوجته ثلاث سنوات.. ثلاث سنوات كافية لتسرق منه ملامحه الحادّة.. إنّه لا يصدق ناظريه.. إنّها محبوبته نهال تعود مجدّدا.. لكن لحظة من معها؟ لم يمسك بيدها؟ لم غيّرت تسريحة شعرها؟ دنى نحوها واشتم رائحتها.. وها هو الغضب يعتلي وجهه.. هناك رائحة شخص آخر تمتزج مع رائحة نهال..

- ابتعد عني!

- من هذا حبيبتي؟ عدت إليّ أخيرًا (تحسس وجنتاها.. حاول تقبيلها لكن عزيز دفعه بشراسة)

- ابتعد يا هذا! (كاد أن يخنقه لو لم توقفه نهال)

- عزيز أرجوك!

- تفضلا.. ألن تدخلا؟ (تساءل جود)

- حسنا حسنا سندخل..

تقدمت نهال وهي تمسك عزيز معها.. فور أن جلسا بدأت نهال بمطالبة حقوقها كإنسان مضطهد لا كزوجة.. فجود أذاقها الويل.. صارت كوابيسه تراودها.. عنفه.. كلماته الجارحة.. كلّ ما ارتكبه اتجاهها.. نهك براءتها.. بل نهك حريتها كامرأة..

* * *

قبل أربع سنوات من الآن، أعدت نهال العشاء لزوجها.. وشموع الحبّ تملأ المكان.. فُتح الباب بسلاسة.. إنّه جود أخيرًا عاد من عمله بعد يوم شاق..

- نهال؟ نيها.. ماذا ضوء الغرفة منطفئ..

مرّت دقائق وساعات ولا أثر لنهال.. هاتفها مغلق..

إنّها الحادية عشر إلاّ خمس دقائق ليلاً ولم تأتِ بعد.. جنّ جنون جود.. فنجلاء حقنت سمها في عقل جود.. زرعت في ثناياه فكرة خيانة زوجته له.. ما هي إلاّ لحظات حتى وصلت نهال وعيناها تفرزان التعب.. تلك الهالات أسفل رقبتها.. هالات الوحدة والشوق تلتحف روحها..

- أين كنت؟ هاه! (أمسكها بعنف ودفعها فوق الطاولة.. انطفأت شموع الحبّ.. نشب عنها حريق الأسى والضغينة)

- كنت..

صفعة.. صفعتان.. ثلاثة وأربعة.. لم يدعها تبرّر موقفها.. إنّه شخص آخر لا تعرفه.. غير جود الذي أقنعت نفسها بأنّها تحبه..

* * *

بعد شريط الذكريات الذي استرجعته نهال، قالت بكلّ شجاعة غير آبهة للعواقب.. فعزيز سندها وقوّتها ومادامهما سويًا لن تفرقهما سوى الموت..

- أريد الطلاق..

- أنت زوجتي ولن أسمح لك بالطلاق ما حييت..

- هذا عزيز.. أنا حامل..

- حامل!؟ هل أفهم من هذا أنّك تخونينني؟ أيتها.. (حاول اقتلاع شعرها من جلدة رأسها ولو لم يدفعه عزيز.. فجود هرم نتيجة الفراق والضياع..)

- أنا لم أخنك.. أنت من فعلت بنا هذا.. سلبتني حريتي..

- حسنًا تريدين الطلاق.. أنت طالق.. طالق.. طالق..

- لا أريده شفويًا إنّما أطالب بحريتي على الورق..

- كيف ذلك وأنت لست نهال التي أحببتها..

- هذا ليس من شأنك.. (استطرد عزيز)

أردفت نهال قائلة:

- هيّا حبيبي علينا الرحيل.. سنتقابل غدًا إذًا في المحكمة.. (استدارت نحو جود).

غادرا بيت جود متّجهين نحو الفندق.. ما إن وصلا حتى تناول عزيز وجبة دسمة على العشاء.. فقد أنهكه السفر.. أمّا نهال لم تتذوق شيئا لأنّها تدرك حق اليقين أنّ جود لن يمنحها حريتها بهذه البساطة.. فهو مهووس بها.. مختل لدرجة أنّه رحب بها بالرغم من كونها هربت منه.. كحمامة تفر من قفصها..

* * *

الجزء العاشر

هرولت نهال راكضة بسرعة ولا تدري إلى أين تتّجه.. تركت عزيز مرميّ على أرض الرواق في ذاك البيت المهجور.. «النجدة.. النجدة».. تصرخ وما من مجيب.. تبكي وما من منقذ.. إنّها السابعة ليلاً.. والسماء تبكي لرحيل عزيز..

فتحت عيناها على أضواء ساطعة.. لا تدري أين هي الآن ولا ما مصدر هذه الإضاءة.. الجوّ بارد..

- دكتور! دكتور! لقد أفاقت..

- حمدًا لله على سلامتك.. أنا الطبيبة «شفاء» سيّدتي..

لقد وجدنا... (أجهشت نهال بالبكاء فقد تذكّرت حالتها وهي تركض تاركة جسد عزيز خلفها وروح جود الشريرة تنهشه.. كذئب ينقض على فريسته..)

هدئي من روعك أرجوك..

- أين أنا وماذا حدث لي.. آه رأسي يؤلمني..

- لا تقلقي.. أنت بأمان.. لقد وجدك رجل بمحطة القطار فاقدة الوعي فوق الرصيف.. لو تأخر قليلاً لفقدنا ولديك لا سمح الله.. لكن لا تقلقي

هما بخير..

- هما؟

- لقد رزقت بتوأم سيدة؟..

- سوزان.. سيدة سوزان..

- هاه قد أنجبت توأمان يشبهانك كثيرًا سيدة سوزان.. ستحضرهما الممرضة بعد قليل من ثم ستستجوبك الشرطة..

- شرطة! آه حسنًا..

* * *

ارتدت فستانها الربيعيّ الأبيض الطويل.. مشطت شعرها الحريري الأسود.. تحسست بيديها الناعمتين زجاجة العطر.. إنّه عطر مميز.. كأنّه خُلطت مكوناته خصيصًا لها.. نادت والدها الهرم ليفطرا سويًّا.. حملت حقيبتها البيضاء الجلدية.. إنّها تعشق الأبيض.. واتّجهت نحو المصحّة أين يمكث خالها.. ذلك المريض النفسيّ الذي كان ممووسًا بزوجته حتى النخاع.. لا بد من أنّك استوعبت الآن أنّ الفتاة عاشقة اللون الأبيض هي نفسها «سمرا» ابنة فريال الوحيدة.. وجود خالها المختل عقليًا.. أو بالأحرى الذي أضحى مختلاً بعد أن قتل عشيق زوجته..

في الناحية المقابلة من الشارع.. هناك شاب أبيض البشرة ذو شعر أسود وعيون بنية.. خطف من القهوة سمرتها.. حاجبان مقوسان.. شفتان رقيقتان زهريتا اللون.. أسنان غير منظمة الترتيب.. لم تكن أسنانه عيبًا يومًا بل إنّها زادته تميزًا.. أنف حاد.. ذو نظرات قاسية.. يرتدي سروال جينز وقميص أسود.. حذاء أسود وساعة ذكية سوداء أيضًا.. يكتب بخطواته فرصة لقاء جديدة.. لعبة قذرة من ألعاب القدر المعروفة.. كعادتها الحياة تلف بنا حتى توقعنا في الأشخاص الخطأ..

- آسف.. آسف آنستي.. لم.. لم أقصد.. أنا لم أقصد أن أوقع منك أغراضك.. آس...

- لا عليك.. هوّنها يا رجل! (ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساذجة تلحفها نظرات البراءة والاطمئنان.. قاطعته قائلة) انظر أنا بخير لا تقلق ههه

- صدقًا لم أنوِ إزعاجك.. هاتِ سأحملها عنك..

- اووه هذا لطف منك لكني متجهة نحو المصحة.. يبدو أنّك ذاهب في الاتّجاه المعاكس..

- أتدرين سأصطحبك إلى المصحّة وأوصل معك هذه الأغراض بشرط أن تقبلي اعتذاري..

- ممم وسأقبل اعتذارك فقط إن وافقت على احتساء فنجان قهوة معي.. اتفقنا!

- قهوة؟ لكني لا أشرب سوى الحليب.. (رفع حاجبيه ببلاهة)
- ههه أنت من عشاق الحليب إذًا؟ حسنًا اتفقنا..
- من أين هذا المصحّة؟
- أنت لست من البلد صحيح؟
- كنت في كندا مع والدتي وأخي.. آه بالمناسبة «عزيز» اسمي «عزيز جابر» (أمسك بيدها وقبلها احترامًا) تشرفنا آنسة؟!
- هه آنسة «سمرا»..

* * *

بعد وجبة دسمة تناولها عزيز على العشاء.. استلقى على سريره لينعم بقسطٍ من الراحة بعد عناء السفر..
- حبيبتي كفاك وهن.. تعالي وارتاحي قليلاً غدًا يوم شاق.. (قبلها على جبينها احترامًا لحبهما وكل شيء جميل بينهما.. أخذ بيدها واحتضنها..)
- فلتبقَ معي طول العمر.. لا تتركني!
- لن أفعل.. وعد..

تغلغل الصمت ليلتهما.. فالصمت كلام أحيانًا.. يحكي ما نخفيه من أعباء الدنيا.. غفيا لبرهة ثم أفاق عزيز.. تحسس الفراش فلم يجد نهال!

- حبيبتي.. حبيبتي أين أنت؟!

نهض بسرعة يتهاوى على حواف الغرفة.. ناداها مطولاً.. لم يجد لها أثرًا في أرجاء الغرفة.. ركض خارج الغرفة متّجهًا إلى الرواق..

- سيّدي! عفوًا سيّدي ما بك؟!

- نهال.. نهال أين أنت (يتهاوى أرضًا والدموع تنهمر من عينيه لهيب بركانٍ يفيض شوقًا لمحبوبته)

- استرخ أرجوك.. سأجدها لك..

مرّ شهر وستة أيام وخمس ليالٍ ولا زال الكابوس ذاته يراود عزيز ليلاً.. اختفت نهال فجأة.. لم تترك له خيطًا ليتشبث به لإيجادها.. حتى وصلته رسالة فحواها: «هذه أنا حاول ترقب مكاني بواسطة تقنية «الجي بي أس» ولا تعاود الاتصال بي لأنّه رقم جود.. في الانتظار.. أحبك»..

* * *

طرق عزيز الباب.. اختبأ خلف البرميل خارجًا وانتظر جود ليخرج ويكتشف من الطارق.. حمل عزيز عصا خشبية كانت مرمية خلف البيت وسط كومة الخردة وضرب جود بها بقوّة.. دخل كالولهان على رؤية أميرته المأسورة داخل سجن التنين الشرس.. نادى بأعلى صوته

الذي أبـرز علقم الفـراق والحنـين داخـله..

- عزيز.. هنا.. أنا فوق!

- حسنًا.. انتظري حبيبتي سأنقذك..

صعـد السـلالم وكلّـه يرتعـش قلقًـا وريبـة.. حـاول فتـح البـاب لكنـه كان موصدًا.. دفعه.. مرّة.. ثانيـة.. وثالثة حتى تمكن من كسره.. قد شاخت عشيقته من فرط الوهن ولهفة اللقاء.. احتضنها بشغف رجولي وقال..

- زهرتي ذبلت لكني سأسقيها مجدّدا..

- عزيز! أحبك.. اشتقت إليك.. انظر لازال ابننا بخير.. سيكبر وسط عائلته..

- هيّا فلنخرج من هنا قبل أن يأتي ذاك المعتوه..

حاولا الهرب من الشّباك لكن دون جدوى.. ليس أمامهما سوى طريقة واحدة للهرب هي أن يخرجا عبر الباب الرئيسي للبيت..

- أين هو لقد كان هنا؟؟

- عزيز ما الذي تق...

قاطعتها صوت طلقة نارية.. ثقبت صدر عزيز..

- عزيز! عزيييز انهض أرجوك!

- لـن تهـربي منـي.. لـن تـف.. تفعـلي.. (يمسـك المسـدس بيـد.. يحـاول أن يوقـف نزيـف رأسـه باليـد الأخـرى.. كان يعـرج وثيابـه رثـة مغـبرة)

استـمرت نهـال في الركـض.. تخلّـت عـن كلّ شيء يربطهـا بـذاك المـنزل

الموحش.. لا تأبه إلاّ بابنها الذي يتخلّل رحمها.. كيف ستنقذه وهي تهرب من الهلاك نحو اللاشيء.. نحو وجهة غير معلومة..

* * *

الجزء الحادي عشر

كانت نهال محطمة.. تنتظر أن تأتيها الممرضة بولديها كي ينتشلانها من لهيب الفقد.. وشريط الهلاك يمرّ بذهنها الوهان.. من فرط الأحزان تناجي.. أين تختبئ من شرّ الامتلاك.. حبّ زوجها الذي صار هوسًا فتاكا..

- سيّدتي، استسمحك عذرًا.. «يارا» أحضري الرضيع الآخر.. خذي سيّدتي إنّهما ولداك..

حملتهما نهال وعيناها تكاد تنفجران سوادًا وهلاك.. قبلتهما واشتمت رائحتهما التي لا تنفك أن تذكرها برائحة عزيزها..

- ما شاء الله إنّهما يشبهانك.. ماذا سوف تسمّيهما؟

- عزيز.. عزيز وكنزي..

* * *

إنه بيت صغير أسود به الكثير من الشبابيك المطلة على شاطىء البحر.. جالس هو قرب الشرفة يرتشف قطرات حليب.. يحمل كتاب قصصي بوليسي صغير.. وخلفه جدار مدهون باللون الأسود به بقع

زرقاء وأخرى بنفسجية اللّون تشبه النجوم.. معلقة عليه ثلاث لوحات يبدو أنّها باهضة الثمن.. إحداهن خليط الأبيض والأسود.. كأنّها رجل وامرأة ممتزجان.. المرأة قوية ورزينة.. والرجل يصرخ وينهار..

- صباحك قهوة عزيزي!

- هه أميّ تعلمين أنّني أحبذها..

- صباحك حليب إذًا.. (قبلت جبينه ومسحت شعره)

- كيف حالك! هل تحسنت؟ (وهو يقبّل يديها)

- الحمد لله.. تعال أخاك في الانتظار..

- آه ألم يسافر؟

- بلى سيفعل لكن رحلته قد تأجلت..

قاطعها كنزي قائلاً:

- آه تتحدثان عني.. (ضيّق عينه وتلفظ بصوت ساخر)

- ههه بالرغم من أنّكما توأم لكني أراك أصغر من عزيز يا صغيري!

- آه كفاك يا أمي.. أنا لست صغيرًا إنّما تصرفات أخي تكبره سنًّا..

* * *

- أبي! أبي! أين أنت؟لق..

- أنا هنا عزيزتي.. (توجّه إليها واحتضنها بحزن)

- هل أنت بخير يا أبي؟

- إنّي أتساءل يا ابنتي كيف تحبين خالك بهذا القدر؟

- أحبه لأنّه ضحية خيانة وخداع.. ما له ذنب غير أنّه أحبّ بإخلاص.. حبّه صار هوسًا دفعه لارتكاب الأخطاء.. وها هو يدفع ثمن ما ارتكبته الأنانية..

- كلامك حكم يا ابنتي.. لكنه قاتل كي...

- أرجوك يا أبي لا تقل عنه هكذا.. هو مريض ويحتاجني ولن أتخلّى عنه مهما فعل أو حدث..

- حدّثيني إذًا كيف كان يومك بالمصحّة؟

- لا جديد يذكر.. آه لقد تذكرت.. وأنا ذاهبة لزيارة خالي بالمصحّة ارتطم بي أحدهم.. كان لطيفًا لدرجة ما.. واصطحبته معي لزيارة خالي جود.. يبدو أنّه أحبّه..

- آه ما اسمه؟

- هه أبي! أهذا تحقيق؟ «عزيز».. امم «عزيز جابر» على ما أعتقد..

- عزيز جابر؟ أظنني أعرف هذا الاسم جيدًا..

- لا.. أنت لا تعرفه

- ما الذي يجعلك واثقة لهذا الحدّ؟

- هو ليس من البلد.. إنّه من كندا في الحقيقة.. أتى إلى هنا لأجل العمل على مشروع مهم..

- كندا؟ (تساءل وملامحه تشتد دهشة وريبة.. إنّ هذا الاسم مألوف بعض الشيء.. وما زاده هلعًا، أمر كندا هذا.. أيعقل أنّ العالم صغير لهذا الحدّ؟ لا.. ربما هو يعقد الأمور لشدّة خوفه على وحيدته.. فهي كلّ ما تبقّى له..)

- ما بالك شارد يا أبي؟ أهناك ما يقلقك؟

- لا.. لا حبيبتي.. غيّري ملابسك سأحضر العشاء.. (ونظرات البلاهة تحتل وجهه).

- حسنًا..

* * *

ها هو الوقت يعود بنا لذكرى بائسة مرّة ومرّات..

وسط البيت المدهون بسواد الخيبات.. عائلة ناقصة معتلة.. لا والدًا فيها.. كبِرا والأب مصطلح مبهم بالنسبة لهما.. يتساءلان.. أين أبانا؟ لم الكلّ لديه أبًا غيرنا؟ أمّي لم تتهربين من الحقيقة؟ قد كبرنا ومن حقنا معرفتها وإن كانت مُرّة المذاق..

- ولداي إنّي لست بخير.. كبرت وقد أفقد روحي في أيّ لحظة..

- لا تقولي هذا يا أمي أرجوك! (سقطت من عينه دمعتان إنّهما الألم والتعب معًا.. يرى حياته مستلقية على سرير رمادي مهترئ.. قد ترحله

إلى الأبد.. من له غيّرها.. غير أمّه؟)

- عزيز دعها تكمل.. (يربت على كتف أخيه)

- إنّ والدكما قد قُتِل..

- ماذا؟ من فعل هذا؟ لمَ لَمْ تخبرينا يا أمّي؟ لمَ.. (تساءل عزيز)

- قتله زوجي..

- زوجك؟ إذًا من يكون والدنا؟

- عزيز هدئ من روعك يا صاح!

سعلت نهال لبضع ثوانٍ.. فقد كانت تعاني من ورم في الرئة إثر التدخين المفرط.. فبعد فقدها لزوجها لم تعد تبالي بشيء عدا ولداها.. ناولها كنزي كوب ماء.. استجمعت قواها وأخبرتهما بالحقيقة كاملة.. حتى تجرع عزيز علقم الانتقام.. اشتعلت نار الحقد بداخله.. قرّر ألاّ يعود إلى بيته إلاّ وقد أشبع أنانيته ضغينة وأحقاد..

اكتشف كنزي ما ينوي عزيز فعله.. فلم يطاوعه قلبه.. اختلق حجة السفر ليلهيه عن شرّه المفتول داخل عقله.. فنهال لم تكن في حال تسمح لها بالبقاء وحيدة.. لقد هرمت ومرضها يزيد الطين بلة.. لكن ذلك لم يفلح.. قد أصرّ عزيز على الانتقام ولن يردعه سوى حبّ نابع من القلب.. يطغى على الضغينة بداخله..

* * *

الجزء الثاني عشر

جهزت سمرا البيت وزيّنته بأبهى الزينة.. أخذت تقبل جبين والدها لأنّه لم يرفض يومًا علاقتها بعزيز بالرغم من شعور الريبة التي كانت تعتليه حياله.. بعد الساعة الثانية ظهرًا بخمسة عشرة دقيقة طُرق الباب.. فتحه سامر وكلّه أسى..

- هذه أنتِ ؟!

- سامر! أيعقل..؟

تهاوت نهال أرضًا وانهالت على فخذيها ضربًا..

- أمّي! أمّي! ما بك؟؟ سمرا أحضري كوب ماء أرجوك (أمر سمرا برجاء والدمع محتجز داخل عينيه البنيتان)

- حاضر.. حاضر.. خذ!

- أدخلها يا بني إلى الصالون.. سأهاتف طبيب العائلة حالاً!

- أمّي أرجوك أخبريني ما بك ؟! (تساءل عزيز بعدما استفاقت أمّه واستلقت على الأريكة).

نهضت نهال متفاجئة تتملك أناملها رعشة الغضب والشكوك.. ثم صرخت في ابنها أن يأخذها من هنا.. قاطعته لما أراد معرفة ما بها وأصرت أن تعود بيتها..

- خالتي! آم...

استطردت نهال بوحشية:

- لا يكفي أنكم دمرتموني! تريدين تدمير ابني؟ ابقِ بعيدة عنا.. (رفعت مقلتيها الحمراوتين اتّجاه سامر وأردفت) وأنت أحذرك إن اقتربت ابنتك من ولدي..

- لكن أمّي.. آسف يا سمرا.. آسف!

ما هي إلاّ لحظات حتى وصل عزيز إلى بيته ونهال لم تنفك ثانية عن العويل..

- أمّي بربّك كفاك نحيبًا وأخبريني ما حلّ بك وفات؟

- لم يحلّ بي غير الخيبات.. بنيّ إنّك على مشارف الهلاك..

- أمّي أأنت بخير؟ أخبريني ما بك؟!

- إنّي أشتم رائحة الحريق تنبعث من بعض الذكريات.. عزيز، لا تخذلني وتحترق بنار الانتقام..

- أيّ انتقام يا أمّي؟ تعلمين أنّني عدلت عن هذا الجنون منذ أن أحببتها.. أتحرمينني لذّة استنشاق عطرها؟ أترفضينها بعدما تعلّقت بها كحبل نجاة؟! غارق بها يا أمي حتى النخاع.. لا أقوى على كسر كلمتك.. كذلك عالق فيها لحد الممات..

اقتربت منه وتحسّست بشرته البيضاء الحساسة وراحت تقبّل يداه وهي في حالة شرود وهلع ممتزجًا بنكهات الرجاء..

- أرجوك يا صغيري! لا تخذلني وتنصاع للحبّ فتدمرك وتحطمني.. إنّي عجوز على شفا حفرة من الموت.. دعك منها وابدأ من الصفر..

- إنّها الصفر يا أمّي.. أبتدئ منها كلما حاولت الابتعاد عنها..

رفعت يدها ولطمته وكلّها نظرات أسى وإرهاق.. قالت ببرود يبعث الحقد في قلب عزيز:

- كفاك حماقة! أيّ حبّ هذا؟ أتدرِ هي ابنة من؟ هي ابنة فريال.. ابنة أخت جود الوحيدة.. أجننت يا ولدي بعد كلّ ما مررت به ونجوت منه بأعجوبة تقفز في جب الهوس والجنون؟

استرق كنزي السمع على نقاش والدته وأخيه.. زحفت داخل عقله الطائش نغمات الحقد والكراهية.. بكلّ دم بارد وعقل ماكر.. التقى بسمرا صدفة في المصحّة.. أو بالأحرى، ادّعى أنّه التقاها صدفة ليستبعد الشكوك اتّجاهه وبكل شيطانية أحرق نفسه وكلّ من معه بنار الانتقام.. كنزي، من حاول إرداع أخيه بشتى الطرق كي لا يقحم نفسه في متاهات الحياة.. التحف رداء الغش والخديعة.. عزف على الوتر الحساس لسمرا.. ألقى بضميره خلف ظهره.. وعزم ألاّ يعود إلى «كندا» إلاّ وقد سلب البريئة حياتها كما سلب جود والده حياته.. انتقامًا من طليق نهال..

* * *

وصل كنزي إلى المصحّة وهناك انتظر سمرا على أحرّ من الجمر.. ها هي ذي سمرا ذات العينين الذابلتين والمتورمتين من شدّة النحيب.. أمسك كنزي بيدها وسحبها له بقوّة.. كادت أن تصرخ لو لم ينهال عليها تقبيلاً.. وأخذ يتحسس وجنتاها.. يحتسي سمارها ويتجرع آلامها..

- حبيبي! ألم يرك أحد وأنت قادمٌ إلى هنا؟

كادت أن تلتهمه بعينيها وكلّها لهفة وحنين.. أمسك بيديها وقال:

- لا داعي للقلق.. أنا هنا بجانبك.. سأدعي أنّي التقيت بك صدفة..

- عزيز أجننت؟ صدفة وأنت تحفظ مواعيدي والأماكن التي أزورها؟

ابتعد عنها فجأة.. ظل جامدًا وبصوت به بحة تلفظ:

-.....

- إنّي أخاف أن يتصنت علينا أحد.. مللت لعبة الاختفاء هذه!

- قريبًا.. قريبًا سيتصلح كلّ شيء.. ألا تثقين بي؟

- أثق والله أفعل..

* * *

ورد عزيز اتّصال من رقم غريب.. ردّ اعتقادًا منه أنّ الرقم قد يكون لسمرا المتصلة سرًّا بعد ما حدث..

- ألو!

- تعال بسرعة يا ولدي..

- سيد سامر ما بك؟ سمرا بخير؟!

- نحن في مشفى المدينة تعال أرجوك ولا تخبر نهال..

- حسنٌ.. آتٍ يا عم..

حمل عزيز مفتاح سيارته ونزل الدرج بسرعة يرجو الله ألاّ يخيبه ويحدث شيء لسمرا.. أيعقل أنّها انتحرت؟ أيعقل!؟

- بنيّ.. (احتضن عزيز وتجاعيده تحكي آلام الوداع)

- سيد سامر أرجوك أخبرني ماذا حدث؟

- سمرا يا ولدي (استمر في البكاء)

- ما بها سمرا؟ تحدث أرجوك؟!

- قد رحلت يا بنيّ.. رحلت..

سقط عزيز أرضًا وكأنّ أطرافه شلّت لهول الخبر..

- انهض يا سيدي!

- هاه.. آ.. آسف..

- الضابط «محمد إسماعيل» مسؤول التحريات في جرائم القتل..

- نعم! جرائم القتل؟ أتقصد أنّ سمرا قتلت!

- آسف يا سيدي على الخبر.. لكننا عثرنا عليها بالمصحّة مقتولة في غرفة خالها المريض..

- جود قتلها إذًا؟ لكنه يحبها وهي كلّ ما تبقت له..

- لا تسبق الأحداث! هناك من قتلها..

- أيمكن أن أراها؟

- لا أظن ذلك.. فوجهها مشوه بالكامل..

- ربما هي ليست سمرا.. يستحيل أن تكون هي.. لا لا يمكن (صرخ بكلّ قواه مبرزًا علقم الفقد في نبرة صوته الحادّة).

- اهدأ يا عزيز! لقد تم العثور على جثتها وبطاقة هويتها في حقيبة يدها.. ثم إنّها نفس ثياب سمرا.

- كيف لأحدهم أن يكون له مصلحة في قتلها وهي لا تملك أعداءً؟

- آسف ولكن علينا اصطحابك إلى المخفر لتدلي بشهادتك..

- طبعًا.. طبعًا..

* * *

ورد اتصال لنهال على الساعة التاسعة ليلاً.. تلقت خبرًا صادمًا جعل

من عينيها تنهمران بشلال قهر ودموع.. فقدت توازنها لكبر سنّها وهول الفاجعة.. لقد تم ورسميًا الحكم على عزيز بالمؤبد لأنّه قاتل أخاه «كنزي» وقد أوضحت التحقيقات أنّ عزيز من اعترف بجريمته وسلّم نفسه بتمام الساعة الخامسة مساءً.. حملت نهال كوب ماء موضوعًا فوق الطاولة.. في تلك اللحظة بالذات سمعت الخادمة صوتًا أشبه بزجاج انكسر.. هرعت مسرعة نحو غرفة نهال وأناملها ترتعش.. فإذ بها تنهار لما رأته.. بعد نصف ساعة من الاتّصال الذي دام ثلاث دقائق وخمس وثلاثون ثانية.. تلقى عزيز فاجعة موت والدته إثر جلطة قلبية لتعرضها لصدمة قويّة أدّت بحياتها إلى الهلاك.. بعد يوم من موت والدته سمحت له المحكمة بحضور مراسم دفنها.. لكنه أبى الحضور خوفًا من مواجهتها.. كيف سيودعها؟ أو بالأحرى كيف سيقابل نعشها وقد سلب حريته بنفسه؟

* * *

- ألو! كيف حالك عزيزي؟ اشتقت إليك..

- اشتقت إليك أيضًا غاليتي.. والدك بالبيت؟

- لا.. إنّه متواجد بمقهى «الشيخ مصطفى».. لمَ؟

- سمرا!...

- ماذا هناك أخبرني؟ (بعد هيهات من الصمت) كنزي! أنت معي؟

- هاه.. هاه أنا معك.. تعالي بسرعة أريدك..

- في الفندق؟

- نعم ستجدينني هناك.. بالانتظار

- أراك.. أحبك

- أحبك..

أقفلت سمرا الخط واتصلت بوالدها الذي أذِن لها بالخروج بحجة أنّها ستزور صديقتها « ميلين» التي كانت تعاني من نوبات جنونية إثر حادث تعرّضت له في صغرها.. وتوجّهت مسرعة إلى المكان المنشود أين ينتظرها عشيقها السريّ «كنزي».. صعدت السلالم بخطوات مرتجفة تبدي الشكوك ممتزجًا بلهيب الشوق..

- حبيبي.. تحرقت لهفة لرؤيتك (تحسست وجنتاه بإرهاق وألم) ما بك؟

- علينا تنفيذ الخطة..

- أتقصد أنّ عزيز لم يعدل عن فكرة الانتقام هذه؟

- حاولت يا سمرا.. حاولت لكنه قابع باحتساء ذكرياته ألمًا..

- متى؟

- أ.. سيأتي بعد أسبوع.. سأخبرك بكلّ تحركاته.. عليكما أن تتقابلا صدفة.. لا تتركي له مجالاً للشك!

- أخاف أن يقع في حبّي بحق.. (أطرقت رأسها إلى الأرض بأسى) عانقها وأردف قائلاً:

- ما من داعٍ للقلق.. سنتخلّص منه..

- نتخلّص منه؟ (دفعته ونظراتها هلع وشرود) قد أكون مخادعة لأجل خالي ولأجلك أنت.. لكنّي لست بقاتلة..

- أنا أولى بك أتسمعين (أمسك بذراعيها بقوّة وظلّ ينهرها) لن أسمح لمخلوق أن يفرقنا.. أسمعت! ثم إنّي لن أقتله بل سأقتلك..

- تقتلني؟

- طبعًا لا.. هذا جزء من الخطة.. سأتظاهر أنّي قتلتك.. سيبتعد عزيز تماما عن فكرة الانتقام بعد أن يحبّك.. ثم سيعود إلى البلاد ويترك لنا حريتنا بعد أن يعلم بموتك..

إنّي أفعل كلّ هذا لأجلك..

- لأجلي؟ أو لأجل أطماعك وجشعك..

- لقد أحببتك منذ ثلاث سنوات ونصف.. ثم أدرك فجأة أنّك ابنة أخت قاتل أبي.. فتبتعدين عني لأنّ أخي يشكل خطرًا على حياتك وخالك.. أمازلت تعتقدين أنَّ كلّ ما أفعله هو لأجلي؟

- إذًا لمَ لا تستأجر أخرى لتمثل دور معشوقة أخيك غيري؟

- لأنّه بعد أن يتورط بحبّك لن يرضَى بتعريضك للأذى حتى لو علِم أن جود خالك..

- يتوجب عليّ الرحيل الآن.. وإلاّ والدي سيشك بأمري..

- حسنًا سأوصلك..

- لا.. سائق الأجرة بانتظاري.. لكن (وضع أصابعه على شفتيها وأخرسها)

- بدون لكن.. أحبّك

- أحبّك أيضًا.. إلى اللقاء!

* * *

الجزء الثالث عشر

أراد كنزي أن يضرب عصفورين بحجرٍ واحد.. من جهة الانتقام من قاتل والده عن طريق سمرا.. ومن جهة ثانية الانتقام من عزيز الذي سبق وأن سلبه لذة التمتع بطفولته.. ها هو ذا يتصنع البراءة ويحتسي كوب قهوة في غرفته أرجوانية اللّون.. إنّه يعشق الأرجواني.. لون شعرها الطويل المتموج.. في كلّ رشفة قهوة يسترجع ذكرى أليمة انتهت ولم ينتهِ منها بعد.. إنّها شرارات الماضي تتطاير هنا وهناك.. في أرجاء الغرفة بين ومضات الماضي.. معلقة على أسوار الغثيان.. تلك الأصوات القابعة داخل رأسه.. رأس واحد لا يكفي لصداها المدوي.. «أنا لم أحبك يومًا».. «عزيز أجدر بالثقة منك.. «أنت لست صديقي».. «بالرغم من أنكما توأمان إلاّ أنّ عزيز يكبرك بعقله يا بنيّ».. «أنت تلميذ كسول».. «تمنح جائ...جا..جائزة أفضل طالب لطالبنا المتفوق عزيز جابر».. «أنت...» إنّها نفس الكلمات تتردّد داخل مسامع كنزي طوال الأربع وعشرين سنة من حياته.. كيف له أن ينسى خيبته.. عزيز وحده المتفوق.. لكنه سيضع حلاً لهذه المهزلة.. سيحطم عزيز ويخطف منه سعادته كما فعل هو في ما مضى!

فـأيّام الثانويـة وقـع كـنزي في شِـباك الفتـاة الكنديـة «اينـو» ذات الشـعر الأرجـواني المتمـوج.. كانـت تـدرس مـع كـنزي في صـف العلـوم.. بينما كان تخصـص عزيـز الرياضيـات.. فـلم يخطـر ببـال كـنزي غـير أن يغتـنم هـذه الفرصـة ليعـترف بحبـه لإينـو خاصـة أنّـه مـرّ أكـثر مـن سـتّة ولم يتغـير شـعوره حيالهـا..

- إينو.. مرحبًا..

لم تعِره أيّ اهتمام وردّت بسخرية:

- هه كنزي ماذا هناك؟

- أمم.. لا شيء..

- إذ كنت تضيع وقتك فوقتي ثمين لا تضيعه معك..

- آسف (حمل كنزي رسالته المعطرة بحبيبه وعاد بيته)

- صباح الخير!

- عزيز! (لمعت عيني إينو حبًّا لعزيز) كيف حالك؟

- أين كنزي رأيته معك منذ قليل..

- آه.. لقد رحل.. أنت أخبرني كيف حالك؟

- حسنًا.. أراك لاحقًا

- آه «أوليفيـا» أسمعـت مـا قـاله؟ (همسـت بعـد أن ابتعـد عزيـز عنهـما بخطـوات).

- هاه.. لم ينتبه لسؤالك حتى!

- لكنه قال أراكِ لاحقًا.. أتظنين أنّه..

لم تنهِ إينو كلامها حتى دقّ جرس الساعة الحادية عشرة وعاد كلّ التلاميذ إلى صفوفهم.. إلاّ «إينو» التي تركت عقلها معلق بسترة عزيز.. مرّ أسبوع وكنزي متغيب عن الدراسة.. سألت «أوليفيا» مرّاتٍ عدّة عنه والشوق يتآكلها.. يا له من معتوه! يترك من تغرقه حبًّا ويركض وراء من تقابله بصفعات الابتعاد كلّما نوى الاقتراب منها.. ألهذه الدرجة نحن البشر مقرفون؟ نركض وراء أهوائنا لنحرق أحبائنا بلهيب الخيانة والخداع..

* * *

- ما هذا القرف؟ لماذا تحاول في كلّ مرّة بأن تثبت أنّك منحط؟!

(رمت الرسالة بوجهه وسط الساحة والكلّ يتفرج)

- إ..إين..إينو! الكلّ يشاهدنا أرجوك (أطرق رأسه إلى الأرض ومقلتيه تكاد تنفجران ألمًا).

في الناحية الأخرى من الساحة كانت «أوليفيا» تلقي بكبريائها أرضًا.. كلّما فقد كنزي شيئًا من كبريائه.. كيف لا، وهي لا تشعر بنفسها كما

تشعر به؟

- الكلّ يشاهدنا! إذًا فليعلم الكلّ أنّي لا أبادلك لا حبًّا ولا هم يحزنون.. أنا لم أحبّك يومًا.. أتدري!! أنا أحبه هو وحده.. ألم تدرك ذلك بعد؟ (تشير بسبابتها إلى عزيز).

تحرّك عزيز بخطوات بالدة.. إنّه يشعر أضعاف ما يشعر به أخيه.. إنّه توأمه.. فكيف لا يفعل؟ رفع يده اليسرى فقد كان أعسرًا ولطم إينو بكلّ قوّته حتى احمرّت وجنتها.. صرخ في الجميع كي ينهوا هذه المهزلة.. هيهات حتى بدأت السماء تبكي على ما فعله القدر بهم باسم الحبّ.. لقد شتتهم وفرقهم.. الواحد تلو الآخر.. ركض الجميع نحو المبنى كي لا يتبلّلوا بدموع السماء وشفقة الغيوم..

تقدّمت أوليفيا نحو كنزي الذي كان منهارا كليًّا ويجلس بكلّ حسرة على الأرض يعد حبيبات الكبرياء التي سقطت منه.. ربتت على كتفه بدفء وتربعت على الأرض..

- كنزي! ارحم نفسك أرجوك.. هيّا سأصطحبك إلى البيت يا عزيزي..

دفع يدها عنه بجحود وجفاء قاتلان..

- لا أريدك.. اغربي عن وجهي!

* * *

- سيد «كنزي» إنّ السيدة نهال تنادي عليك..

- آه قطعت عني حبل المشقات..

- عفوًا !!

- لا تهتمي.. اذهبي سآتي حالاً..

* * *

تمّ القبض على عزيز بجرم القتل.. بعد أن صرحت «ميلين» صديقة «سمرا» التي كانت تتعالج بنفس المصحّة الذي يتعالج بها «جود» أنّها رأت عزيز وسمرا يدخلان معًا إلى غرفة جود.. وقد أخذت شهادتها في عين الاعتبار.. الأمر الذي جعل من الضابط «إسماعيل» يستوقف عزيز حتى يكشف من القاتل.. سُلطت أضواء القضية كلّها على عزيز الذي لم يستطع إثبات براءته.. مما جعل من نهال تزداد حالتها سوءًا خاصة أنّها تعاني ورمًا بالرئة..

- سيد «عزيز جابر» لقد تمّ الإفراج عنك..

- ماذا؟ هل عرفتم القاتل!

- لم نعرفه بعد.. قد أُغلق المحضر وآلت القضية للقضايا مجهولة الحلّ..

- أيعقل أنّه جود من قتلها؟

- قد أكّد الطبيب النفسي لجود أنّه لم يقتل.. وأنَّ حالته تزداد سوءًا خاصة أنّه شهد مقتل محور حياته.. أو بالأحرى من تبقى له في حياته ليتحمل جنونه وهوسه..

* * *

بعد أسبوعين وأربعة أيّام من قرار الإفراج عن عزيز، لم يظهر كنزي إلاّ مرّة واحدة ليبعد عنه الشبهات.. هذا ما دفع عزيز ليشعر بالريبة حياله.. فراح يزوره ببيته دون إخباره خشية أن يتملّص توأمه من مقابلته..

نزل عزيز من سيارته السوداء يكاد أن يختنق.. هناك شعور مريب وكأنّ أحدهم طعنه.. طعنة.. إثنان.. ثلاث وأربعة.. بدأ يرتعش والدموع تنهمر من عينيه دون سابق إنذار.. لا يدري ما سبب هذه الدموع؟ ولا حتى كيف يوقفها.. إنّه نفس الشعور الذي انتابه يوم صدمت كنزي سيارة.. أفاق من شروده كمن تلقّى صفعة منبهة.. نظر في البناية بفزع وذهول ممتزجان وصعد السلالم مرتعشًا خائفًا.. كيف أهمل المصعد الآلي؟ المرء لا يتحكم بأنامله وقت المصائب.. كذلك من يقع في الحبّ لا يقوى على التحكم في أهوائه ومشاعره.. أخرج نسخة مفتاح البيت وفتحه..

* * *

قادت عزيز قدماه نحو مخفر الشرطة.. كانت ثيابه ملطخة بالدماء.. أدلى بإفادته التي كانت تتمحور حول كيفية قتله لأخيه بكلّ دمٍ بارد وروح حاقدة بعد أن تعرف الضحية بأنّه قاتل سمرا..

* * *

الجزء الرابع عشر والأخير

- حسنًا سيدة «أروى».. كيف علم عزيز بأنّ أخاه من قتل سمرا؟

- ببساطة يا صغيرتي.. وهذا ما لم يعرفه أحد!

لمّا فتح عزيز باب منزل كنزي وجده مقتولاً..

- لكن كيف؟ إن كان ميتًا من أخبره بأنّه...؟

- سأسرد لك ما حدث بالتفصيل..

كما أخبرتك وجد أخاه مقتولاً وسمرا ملطخة بالدماء.. هي لم تمت.. فلو تتذكرين اتفاق كنزي وسمرا حول قتلها كان مجرد جزء من الخطة لا أكثر.. أمّا الجثة التي تمّ العثور عليها فكانت مشوهة وهي جثة فتاة أخرى.. في وقتنا هذا يا عزيزتي.. النقود تشتري حتى الموتى.. اتفق كنزي مع أحد المستشفيات وقام بسرقة جثة مشوّهة الوجه كليًّا.. وضعها بغرفة جود الذي وضعت له سمرا منومًا في أكله.. ولمَّا نهض كانت سمرا قد قتلت.. ولأنّه مريض نفسي لا أحد يأبه لهكذا تفصيل.. تمّ تغيير اسم سمرا وصارت شخصًا آخرًا.. لتسافر بكلّ سهولة مع كنزي خارج البلد.. لكنه مكث بوعده وتخلّى عنها.. لأنّه لم يحبها لحظة.. أراد سلبها حياتها وهويتها لينتقم من جود وكلّ من حوله.. ولينتقم من عزيز.. استعمل

سمرا كطعم ليدمر أخاه كما دمرته «إينو».. لم تتحمل سمرا الفاجعة أو الخديعة.. لقد صارت خائنة لخالها وعزيز الذي أحبها بحق.. خائنة لوالدها وكلّ من أغرقها بعبق الحبّ.. شيئًا فشيئًا بدأ الشيطان يطرق باب مكر سمرا.. ومرّة أخرى وككلّ المرّات لعب القدر لعبته الفتاكة..

قتلت سمرا كنزي بكلّ دمٍ بارد.. ذلك ما رآه عزيز وشهد حدوثه.. إنّه عالق بين أمّ ماتت بسبب صدمة جراء جريمة لم يرتكبها وحبيبة خائنة وتوأم يلتحف البراءة وهو ثعبان خادع.. لم يتمالك عزيز نفسه لهول المشهد.. لكن سمرا صارحته بكلّ ما ارتكبه كنزي.. ذهلت هي الأخيرة لمّا رأت منظره وهو يطلي نفسه بدماء أخيه وخرج يترنح على نغمات الوداع..

أعلنت الجرائد أنّ عزيز هو قاتل أخاه.. لكن أحدًا لم يطلع على ما خلف الستائر من حقائق فظيعة.. وهكذا انتهى الانتقام بحرق كلّ من أكلته نيران الضغينة وتغلب عنه عدم النسيان.. هزمته الخيانة ورضخ لأهوائه تحت ما يسمى الحبّ..

أمّا سامر فبقي ينتظر يوميًا ابنته سمرا أن تعود من المصحّة على الساعة الخامسة كما اعتاد سابقًا.. آملاً أنّها ستعود يومًا حتى توفي في أحد ليالي الشتاء البارد.. وحيدًا أسير أربع جدران..

- لكن من أخبرك بحقيقة سمرا؟

- ببساطة لأثني سمرا!

* * *

الخاتمة

تمّ العثور على أحد الرسائل في بيت جود بعد انتحاره في المصحّة.. فلم يكن له أيّ وريث من بعده.. أغلقت شركاته وكلّ بيوته.. حتى عُثر على هذه الكلمات التي ادّعى أحد أطفال الحيّ أنّ الورقة سقطت من أعلى شرفة بيت السيّد جود.. والتي كانت فحواها:

« تعبت من الكلّ ما عداها..

إنّي أكرهها وأنا بكامل هذياني..

أتجرع سّم النسيان..

وأيّ نسيان هذا وطيفه يلاحقني ليلا نهارا؟

إنّي أراها في الكلّ..

في أمي في كلمات الأصدقاء..

في نظراتي أمام المرآة..

أراها في الأطفال خارجا..

واقفة على الرصيف..

بالمقعد جالسة..

لا ضرّ في بعض الذكريات..

أأرميها خارج مخيّلتي؟

أم أحتفظ بها داخل درج الأسرار والخيبات؟

إنّي تائه بين أضلعي..

أترامى داخلي..

أأصغي لقلبي ولعقلي الهلاك؟

إنّي أهذي..

لا يهم إن مت أو بقيت على قيد الحياة..

المهم أن أبتعد عني..

لا أريد أن أضعف..

أنا قويّ..

فقط أحتاج ربع عناق!

ونصف صراخ..

القليل من كل شيء جميل ومؤلم..

اتّخذت الانتقام درعا واقيًا من آلام الخيانات..

اشتعلت نار الضغينة داخلي..

احترقت بزخات الشهوات..

كرقعة شطرنج..

الكلّ يسقط لينقذ الملكين..

كالرمادي..

إنّي وليد الشرّ والخير..

مزيج الوهن والثبات..

أخرجوني من هنا..»

ـجودـ

شكر خاص

لأمّي التي دعمتني وشجعتني لممارسة حلمي.. أحبك

لصديقة العمر «نسرين ذهباوي» التي قرأت ما كتبته بالحرف لتدعمني..

أحبك وأشكرك على كلّ شيء جميل..

لحوريتي التي لم تقرأ لي لكنّها شجعتني وواجهت معي نوبات فشلي..

دمتن غاليات